الفصل الأول

ازدهار الحياة الثقافية والمؤسسات التعليمية في مدينة غزنة

أولًا: عوامل ازدهار الحياة الثقافية

- الإسلام
- تشجيع سلاطين الدولة الغزنوية للعلم والعلماء
- الرحلات العلمية
- مجالس المناظرات
- الترجمة
- منهج البحث العلمى
- الموسوعية
- التسامح الدينى وحرية الرأى
- ثروات بلاد الهند
- أخلاق العلماء
- حوانيت الوراقين

ثانيًا: المؤسسات التعليمية فى مدينة "غزة"

- المنشآت التعليمية
- طرق التدريس فى المؤسسات التعليمية
- المناهج الدراسية للمؤسسات التعليمية
- الألقاب والشهادات الأكاديمية
- هيئة التدريس فى المؤسسات التعليمية

أولًا: عوامل ازدهار الحياة الثقافية

الإسـلام

مما لا شك فيه أن الإسلام كان أهم العوامل وراء ازدهار الحياة الثقافية ليس في مدينة "غزنة" فحسب بل في كافة مدن العالم الإسلامي وغير الإسلامي، ذلك الدين القيم الذى يشكل طريقة الحياة من مختلف النواحى، فهو طريقة في الحياة تحكم كل أشكال السلوك الإنساني، وهو القوة الثقافية والوجدانية التي ربطت العالم الإسلامي بأجمعه، وهو ذلك الدين العلمي الذى يعتمد علي العقل ويقدسه، ويبوأه المكانة السامية التي منحته إياها الفطرة الإنسانية، فالإسلام هو الطاقة الهائلة التي انطلقت بالمجتمعات الإسلامية إلى آفاق الرقى وفتحت عقول المسلمين على أسرار الكون الفسيح.

فليس هناك من دين كرَم العلم ودعا إليه مثلما فعل الإسلام، فمنذ اللحظات الأولى التى أشرق فيها الإسلام في شبه الجزيرة العربية وهو يحث أتباعه أن يرتادوا رحبات العلم، ليعرفوا أسرار الكون لأن معرفته دليل علي وجود الله، لذلك فإن دراسة هذا الكون تؤدى إلى معرفة الطريق القويم للحياة الصحيحة في الدنيا والخلاص فى الآخرة، كما دفعهم للتجول في ميادينه، والتعمق في تفكيرهم ليضعوا أيديهم علي مفاتيح الأشياء، فتخضع لهم وتذعن لأمرهم، ويتمكنوا من تكوين فكرة عميقة وشاملة عن العالم الذى خلقه الله سبحانه وتعالى[١].

وكانت القوة الدافعة لذلك كله مستمدة من كتاب العقل والوجدان معجزة الإسلام الخالدة القرآن الكريم الذى كان عاملًا هامًا في توجيه المسلمين إلي دراسة العلم وإعمال الفكر، وأكبر دليل علي ذلك أن أول سورتين نزلتا من الذكر الحكيم تقرران قيمة الكلمة المقروءة والكلمة المكتوبة، ففى سورة العلق تمجيد للكلمة المقرؤة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

---

[١]- كارم السيد غنيم: ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٦م، ص٢٦. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ترجمة سامى الصقار، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م، ص٥٠.

خَلَقَ[١]﴾. وفى سورة القلم تمجيد للكلمة المكتوبة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ[٢]﴾[٣]، فلا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات، إذن فالقرآن بأول آية نزلت منه وبأول قسم فيه يوجه الإنسان بطريق مباشر وبطريق إيحائى إلى الاتجاه نحو المعرفة قراءةً وكتابةً وعلمًا[٤].ثم تتابع نزول القرآن ووردت به آيات كثيرة تدعو إلي العلم وتكرم أهله وترفعهم إلى أعلى الدرجات ﴿يَرفَعِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ أَمَنُواْ مِنكُم وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾[٥]، كما أنه جعل العلم أساس الموازنة بين الناس في الفضل والدرجة ﴿قُل هَل يَستَوِي ٱلَّذِينَ يَعلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلبَابِ﴾[٦]. وفى الآيات (٣٠: ٣٣) من سورة البقرة فى قصة سيدنا آدم والملائكة والتي تبين لنا أن آدم استحق الخلافة في الأرض لما ميزه الله من نعمة العلم والتعلم والنظر والتأمل، وهو ما تميز به عن الملائكة، لذا أمرهم الله بالسجود لآدم، فجعل بذلك منزلة علمه فوق منزلة تسبيح الملائكة وتقديسهم له، وهو إكبار للعلم لا يدانيه إكبار[٧].

وتتوالي الآيات الكريمة التي تحث علي العلم آمرة به مبينة آدابه وشروط النبوغ فيه، ومشيدة بالعلماء ومكانتهم، ومن ذلك المنطلق حث القرآن الكريم المؤمنين علي النظر فيما

---

[١] – العلق: (١)

[٢] – القلم : (١)

[٣] –أحمد جاب الله شلبى: التعليم والتربية عند المسلمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص٤٨.

[٤] –عبد الحليم محمود: موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، ط٢، القاهرة، دار الرشاد، ٢٠٠٣م، ص٨١، ٨٢.

Mozammel Haque: Islamic Education, Quranic Schools (Madrasahs) and Terrorism, The Islamic quarterly ,Areview of Islamic Culture ,vol.٤٩ ,٢٠٠٥ , pp٨٨,٨٩.

[٥] – المجادلة: (١١)

[٦] – الزمر: (٩)

[٧] – شوقى ضيف: عالمية الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٥٤.

خلق الله وفى سائر ملكوت السماوات والأرض، مما أتى مفصلًا بجميع أنواعه وأقسامه في كثير من الآيات القرآنية المتفرقة، وهي تشير بوضوح إلي الحقائق والمعارف الإنسانية، الأمر الذي من أجله انطلق المسلمون ينقبون ويدرسون ويبحثون في مجالات العلم المتعددة، فنبغوا فيها نبوغاً شهدت به الدنيا كلها، وكانوا من الرواد الأوائل في تلك المجالات، أساتذةً للذين تتلمذوا عليهم وعلي تراثهم الذى تركوه [١].

هذا وقد ترك القرآن الكريم آثارًا عميقة فى الفكر الإنسانى تجعل المؤمن يرى آيات الله فى كل شىء، تجعله يبصر أمجاد الألوهية فى آفاق الكون، والسنن العامة التى تحكمه، فآيات الله فى صحائف الكون تتلاقى مع آيات الله فى صحائف الوحى تلاقيًا يجعل النظرة إلى الكون أسمى، وهذا العقل المؤمن لا يعجز عن تحليل الروابط التى تصل الأشياء بعضها ببعض والتى تقود إلى القوانين العلمية الشائعة فى الوجود، والدين يضفى على هذه القوانين معنى أشرف[٢].

أما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاخرة بالنصوص التي تأمر بالعلم وتحض عليه وتُعلي من قدره ومكانة أهله، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء)[٣]، ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة [٤]، كذلك فضل أفضل المرسلين العَالِم علي العابد في قوله صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلى علي أدنى رجل من أصحابى)[٥].وهناك العديد من الأحاديث الأخرى التى وردت لتشيد بالعلماء وتفضلهم علي سائر البشر، وتوضح مكانتهم العالية ومنزلتهم

---

[١] – برويز أمير بيود: الإسلام والعلم، ترجمة محمود خيال، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ص١٩١.

[٢] – محمد الغزالى: سر تأخر العرب والمسلمين، ط ٧، نهضة مصر، ٢٠٠٥م، ص ٤٨.

[٣] – البخارى: صحيح البخارى، ج١، مكتبة دار الشعب، ١٩٦٨م، ص٢٦.

[٤] – الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٣.

[٥] – المصدرالسابق والجزء، ص١٤.

الرفيعة التى نالوها بشرف علمهم، وتحث علي طلب العلم أينما وجد، مهما كلَّف ذلك الإنسان من صعاب.

لم تكتف الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بالحديث عن العلم والترغيب في طلبه، وإنما قدمت هى نفسها أفانين من الفكر كانت مجالًا للدراسة والبحث، فخلقت بذلك أول ينبوع من ينابيع الفكر الإسلامى[١]. لذلك التمس المسلمون العلم عند كل من وُجِد عنده علم، ولما تسلَّموه لم يخضعوا له بل أخضعوه لإطار التوحيد وطريقة التجربة وحرروه من زيف الوثنية، وحللوه وأعادوا صياغته، فأصبح في ضوء الإسلام خلقًا جديدًا مختلفًا كل الاختلاف. لقد كان قوله تعالي ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾[٢] هو نقطة البدء في العلم التجريبي، ومن ثم أقاموا ذلك البناء الشامخ الذي حقق للحضارة الإسلامية والإنسانية الوصول إلي ما وصلت إليه الآن[٣]. ويكفى أن نذكر أنه وصل إلينا من التراث العلمي الإسلامي آلاف من المجلدات نفخر بها في كل علم، كما نفخر بواضعيها من علمائنا الأجلاء السابقين، ولن أتعرض هنا بالحديث عن علماء مدينة غزنة الأفذاذ مما سيأتي تفصيله في دراسة كل عَلَم، وإنما هذه نظرة عامة عن الإسلام والعلم وكيف أذكى الإسلام جذوة العلم عند المسلمين، وكيف دفعهم بقوة إلى التوهج حتى امتلأت الأراضى الإسلامية نورًا وضياءً وعلومًا دينية ولغوية وكيميائية ورياضية وغيرها، تلك كانت ثمرة الدعوة الإسلامية التي بلغت في الإشادة بالعلم الذروة.

بهذه الآيات من كلام رب العالمين ومن حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، يتضح أن الإسلام دين أساسه الإيمان وجوهره العلم، وأن الحقيقة التي لا خفاء فيها أن

---

[١]- رشيد حميد الجميلى:حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، ليبيا، ١٩٨٢م، ص٥٤.

[٢].يونس: (١٠١)

[٣]- سمية بنت حسن إبراهيم: منزلة العلم فى الإسلام، بحث مقدم إلى الندوة الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة
عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، ص ٨٥.

الدين الإسلامى مبني علي العلم والفكر، وأن ما حققه المسلمون من إنجازات علمية في عصر الإسلام الذهبى تثبت أن الإسلام يُدعم العلم تمامًا، كما أن السعي وراء العلم يعتبر من الواجبات الدينية بالإضافة إلي كونه حاجة عملية[١].

تشجيع سلاطين الدولة الغزنوية للعلم و العلماء

مع الأهمية القصوي للعلم ومع الضرورة الملحة لوجود العلوم في الأمة الإسلامية كان لابد أن يكون هناك نوعٌ من التوازن الذى يحقق هذه الأهمية وتلك الضرورة، وهذا التوازن لا يري طبيعيًا وإنما يوجد له ما يرجح كفته وهو التشجيع بشتي صوره سواء بالوعظ والإرشاد والترغيب، أو ممن يلي أمر العلم والتعليم، أو من أولي الأمر وهم السلاطين والأمراء، وهذا التشجيع الرسمي هو الذى يحقق التوازن ويضمن بقاء جذوة العلم بشتي فروعه متقدة مستمرة، ولولا تلك الرعاية ما ظهرالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية.

ولقد كان للخلفاء والسلاطين الذين تولوا أمر الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان دور في تشجيع العلم والاهتمام بالعلماء، وكان باعثهم إلي ذلك قوله سبحانه وتعالي ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلمِ قَائِمَا بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[٢]، ففى هذه الآية الكريمة قرن الله العلماء به وبملائكته فى شهادة التوحيد، كما كان شعارهم فى ذلك أيضًا الحديث النبوي القائل (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولا يبالى

---

[١]- كارم السيد غنيم: ملامح من حضارتنا العلمية، ص٢٦. برويز أمير بهائى: الإسلام والعلم، ص١٩١.

[٢]- آل عمران: (١٨)

من أى وعاء خرجت)[١]، ولإدراكهم لمقولة أبى الأسود الدؤلى:(ليس شئ أعز من العلم، الملوك حكام علي الناس، والعلماء حكام علي الملوك)[٢].

كان للوسط الثقافي الذي عاش فيه العلماء في بلاط سلاطين "غزنة" دوره الكبير في الازدهار الذى شهدته المدينة فى عصرهم، حيث قامت الدولة الغزنوية علي دعامتين أولهما: الاهتمام بالفتوحات ونشر الإسلام، وثانيهما:الاهتمام بالعلوم والآداب ورعاية الشعراء والعلماء والكّتاب[٣]. فهذا السلطان"محمود الغزنوى" (٣٨٨:٤٢١هـ/١٠٣٠:٩٩٨م) الذى استطاع . متأثرًا بروح عصره ومستعينًا بالثروات الضخمة التي آلت إليه من فتوحاته في بلاد الهند . أن يجعل من مدينة "غزنة" عاصمة حضارية ترث ما تركته المراكز الثقافية الأخرى، وتشد إليها العلماء والشعراء والأدباء[٤].

كان السلطان "محمود الغزنوى" من السلاطين ذوى الثقافة العالية وخاصةً في العلوم الدينية[٥]، كما أنه سار علي أسلوب العصر فى تزيين مملكته بالعلماء والأدباء، لذلك اجتذب

---

[١]-ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، تحقيق عبد الأمير شمس الدين، ط٢، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٦م، ص١١٩.

[٢]- الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص١٥. طاش كبري زاده: مفتاح السعادة، تحقيق كامل البكرى وعبدالوهاب أبو النور، ج١، الدكن، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٨هـ، ص٨.

[٣]-استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٠٩. حربي أمين سليمان:النثرالفارسى والتأثير العربى فى العصرين السامانى والغزنوى، ص٤٤.

Lapidus: A History of Islamic Societies, U.S.A, ٢٠٠٢,p١١٦.

[٤] - بدر عبد الرحمن محمد:الحياة السياسية ومظاهرالحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، ص٣٥٤. محمد جمال الدين سرور: انقسام الدولة الإسلامية إلي دول مستقلة بالشرق، دار الفكر العربى، ١٩٦١م، ص٣٦.

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids , Iran Journal
of the British Institute of Persian Studies, vol.٦, ١٩٦٨,p٣٨.

Lane Poole: Mediaeval India Under Mohammedan Rule (A.D.٧١٢-١٧٦٤), p٢٩.

[٥]- العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٢٣٩.

Arthur Pope: Persian Architecture, Japan, ١٩٦٩ ,p٤٨.

إلى غزنة بشتي الوسائل والطرق أعظم الشعراء والعلماء الذين عرفتهم تلك المنطقة، فعندما علم أن في مجلس أبى العباس "مأمون بن مأمون"[١] جماعة من رجال العلم والفلسفة من أهمهم "ابن سينا"،و"البيروني" و"ابن الخمار" و"أبو نصر منصور بن عرَّاق" [٢] كتب إليه أن يرسلهم إلى مجلسه حتى يتشرف بهم ويستفيد من علمهم، فجمعهم "أبو العباس" وقرأ عليهم كتاب السلطان "محمود" فأبى "ابن سينا" وقبل "البيروني" و"ابن الخمار" و"أبو نصر العرَّاق"[٣].

ومن دلائل إجلال "السلطان محمود" للعلماء إغداقه العطاء عليهم، فكان ينفق عليهم بسخاء[٤]، وإذا كان قد جفا "الفردوسي" صاحب الشاهنامة العظيم، فقد أغدق المال على شعراء آخرين مثل الشاعر الفرخى الذى ترك موطنه والتحق بخدمة السلطان محمود، وبلغ من ثرائه أنه كان يمشى فى ركابه عشرون غلامًا[٥]. وأيضًا الشاعر العنصرى الذى أغرقه السلطان "محمود" بعطاياه حتي قال عنه الخاقاني الشاعر ما ترجمته:.

.سمعت أن العنصرى قد اتخذ موقدا من الفضة

---

[١]- أبو العباس مأمون بن مأمون: آخر حكام الدولة المأمونية التى حكمت خوارزم والتى انتهت بوفاته، كانت تربطه بالسلطان محمود علاقة ود ومحبة، كان رجلًا فاضلًا محبًا للعلم والعلماء.البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٣٤.

[٢]- سيأتى الحديث عنهم مفصلًا فى معرض الحديث عن العلوم التطبيقية فى الفصل الرابع.

[٣] - أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٦. إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسى إلى السعدى، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٤م، ص١١١. محمد جمال الدين سرور: المرجع نفسه، ص٣٧.

Bosworth: Op,cit, p٣٨.

[٤]-Arthur Pope: Op,cit ,p٤٨.

Claud Field: Persian Literature , London ,١٩١٢ ,p٩٥.

[٥]- محمد الرفاعى: الخلافة العباسية، ص٢٠٦. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص١٢٢.

.واقتني من الذهـــــب أدوات خـــــوانه [١]

وقد بلغ ما ينفقه السلطان "محمود"على أهل العلم فى العام الواحد ما يزيد على أربعمائة ألف دينار[٢]. ولم يكن السلطان "محمود" سخيا في عطائه لرجال العلم فحسب بل كان أكثر من ذلك سخاءً فى هباته للمكتبات والمساجد العديدة التى شيدها فى مدينة "غزنة"[٣]. كل ذلك كان له أبلغ الأثر فى ازدهار الثقافة، ذلك لأن الثقافة لها تأثر كبير بالظروف الاقتصادية، فكيف يفكرالإنسان إذا فقُد الاستقرار والأمن والكفاية المعاشية ؟ وفى ذلك يقول الإمام الشافعى:"لا تستشر من ليس فى بيته دقيق" [٤].

بالإضافة إلى ما سبق كان السلطان "محمود" يستعمل العلماء في المراسلات السياسية بينه وبين حكام الدول الإسلامية [٥]، كما استعان بالعلماء والأدباء فى مناصب الدولة المهمة، فعين الأديب "أحمد بن حسن الميمندى"[٦] فى ديوان الرسائل[١]. ومن الأدلة على احترامه

---

[١]- رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد هنداوى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٤٧م، ص٤١.

[٢] – المستوفي القزوينى: تاريخ كزيدة، ص٣٣. استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص١٢٦.

[٣] - محمد حبيب أحمد: بين الهند والباكستان، ص٤٦.(يحكي أن السلطان محمود كان في شك دائم بالنسبة للحديث النبوي "العلماء ورثة الأنبياء"، وهل هناك يوم للقيامة؟ وهل نسبه يرجع إلي سبكتكين أم لا؟ وفي أحد الليالي أثناء اختلائه بنفسه حمل إليه أحد خدمه شمعدان من الذهب، وكان هناك طالب علم يتردد علي مدرسة، وبسبب الظلام كان يذهب إلي دكان ليستعين بضوء مصباحه عند مواجهة أية صعوبة في القراءة، فرق قلب السلطان له ومنحه الشمعة والشمعدان، وفي الليلة نفسها رأي في المنام المصطفي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا ابن سبكتكين أعزك الله في الدارين كما أعززت وارثي، فحلت بذلك كل مشكلاته الثلاثة). المستوفي القزويني: المصدر نفسه، ص٤٣.

[٤] – عبد الستار أبو غدة: رب زدنى علمًا "منهجية العلم فى الإسلام "، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣م، ص٩٩.

[٥] – ابن الأثير:الكامل، ج٨، ص٢٠٥.

[٦] .الميمندى: هو أحمد بن حسن (ت٤٢٤هـ /١٠٣٢م) كان يلقب بشمس الكفاءة، اشتهر بفصاحته وعلو همته وحسن سياسته، بدأ حياته في أحضان الدولة الغزنوية، وكان زميل دراسة للسلطان"محمود"، تولي

وإجلاله للعلماء أنه إذا دخل عليه أحد العلماء يقوم لمقابلته، كما فعل مع الواعظ والعلامة المحدث "أبو منصور الأزدى"[٢].

يتضح لنا مما سبق أن السلطان "محمود الغزنوى" كان من أعظم الشخصيات التى عرفها القرنين الرابع والخامس الهجريين، ذلك لأن العظمة التي وطدها فى مجتمعه بقيت ذات أثر واضح في حياة المسلمين، والمد الحضارى والثقافى الذى غمر به مملكته كان خلاقًا، فغزنة أصبحت في عهده دار مملكة الشرق كما قال عنها "البيروني"[٣]، حتى عجزت معظم العواصم العلمية عن اللحاق بها كمجمع علمى[٤].

وعلى نفس النهج سار كلٌ من "محمد" و"مسعود"(٤٢١: ٤٣٢هـ / ١٠٣٠: ١٠٤٠م) ابنىْ السلطان"محمود" فى رعاية العلوم والآداب، فلم يبخلًا على العلماء والشعراء والمفكرين بالعطايا والهبات. وبالإضافة إلي التشجيع المادى كان هناك نوع من التشجيع المعنوى والوجدانى حيث كانت مجالس العلماء ومناظراتهم لا تنعقد إلا في وجود السلاطين والأمراء. وإلى جانب تلك المجالس كانت تعُقد المسامرات، فكثيرًا من

عدة مناصب في عهده منها ديوان الرسائل، وتولي الوزارة لمدة ثمانية عشر عامًا، ولكنه تعرض لدسائس كبار رجال الدولة فتغير عليه السلطان "محمود" وعزله ثم سجنه في إحدي قلاع الهند. خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة حربى أمين سليمان، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٢٣٦.البيهقي:تاريخ البيهقي، ص١٥٨.استاد خليلي:المرجع نفسه، ، ص١٧٢، ٢٨٤. عبد الناصر إبراهيم: شمس الكفاءة أحمد بن حسن الميمندى، مجلة المؤرخ المصرى، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد٣٢، يناير ٢٠٠٨م، ص٦٣: ٨٨. فتحي عبد الفتاح أبو يوسف:النزعات السياسية فى الدولة الغزنوية مع بداية حكم السلطان مسعود الغزنوى، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٤، ١٩٨٦م، ص١٥٦.

[١] – العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص١٧٠.

[٢] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٧٤. عفاف السيد زيدان: بين أمير المؤمنين هارون الرشيد والسلطان محمود الغزنوي، ص١٤.الشكل رقم (١).

[٣] – علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص٢٩.

G. H. Rawlinson:India ,A Short Cultural History, p٢٠٩.

[٤] – أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ص٢٩٠.

السلاطين كانوا يسهرون الليالى إلي جانب عالم يطارحهم في الأشعار والآداب أو فى المسائل العلمية والفقهية، فيذكر البيهقى عن أستاذه "عبد الرحمن القوال" أن الأمير محمد كان يلح عليه فى أن يكرر هذين البيتين من الشعر:

وليس غدركم بدعًا ولا عجبًا لكـــن وفاءكم من أبدع البدع

ما الشأن في غدركم الشأن في طمعي وباعتدادى بقول الزور والخدع[١]

كما كان يقرأ المعلقات السبع و"قفا نبك". وكان"أبو بكر القهستاني"والذى يعد من عظماء العصر مربيًا للأمير"محمد" وأستاذه ونديمه فى نفس الوقت[٢].

أما السلطان "مسعود بن محمود" فكان زائدًا في الكرم[٣]، يجالس العلماء والفضلاء ويصلهم بجميع أنواع الإحسان والإكرام حتي صنف العلماء كتبهم باسمه، فهذا هو البيروني الذى كتب باسمه كتابيه الشهيرين"القانون المسعودى"و"الزيج المسعودى"، وأهداهما إليه[٤]. كما كان كثير الإغداق علي الشعراء[٥]، فيروي أنه فى أحد مجالسه أعطى الشاعرين الكبيرين"العنصري" ألف دينار، و"الزينبى العلوى"خمسين ألف درهم، وأمر للشعراء الأقل شأنًا بعشرين ألف درهم، وللمطربين والمضحكين بثلاثين ألف درهم [٦]، كما أعطى شاعر آخر بكل بيت ألف درهم[٧].

---

[١]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٦.

[٢]- عفاف السيد زيدان: بين أمير المؤمنين هارون الرشيد والسلطان محمود الغزنوى، ص١٧.

[٣].البيهقي: المصدر نفسه، ص١٣٣.

[٤]- ابن الأثير:الكامل، ج٨، ص٤٥. ابن أبي أصبيعة: طبقات الأطباء، ج٣، ط٤، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٧م، ص٣٠. البيهقي: المصدر نفسه، ص١٣٧، ٣٠٢. محمد الرفاعى: الخلافة العباسية، ص٢٠١.

[٥]- استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٢٢٨.

[٦]- البيهقى: المصدر نفسه، ص٣٠٢. محمد الرفاعى: المرجع نفسه والصفحة.

[٧]- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص٢٤٥. النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٧٣.

وكان السلاطين بالإضافة إلي تلك المكافآت السخية يجزلون العطاء للعلماء في المناسبات المختلفة، فإذا رأوا نبوغًا أو براعة في التأليف من أحد العلماء كان له جزاؤه بالإضافة إلي التشجيع، فقد أرسل السلطان مسعود إلي"البيروني" ثلاثة جمال محملة بالدراهم الفضية[١]، مكافأة له علي كتابة "القانون المسعودي"، ولكنه اعتذر عن عدم قبول الهدية بقوله أنه "إنما يخدم العلم للعلم وليس للمال"[٢]. فكان رفضه بوازع من الزهد، ولكي ينأى بنفسه عن المال الذى يجعله موضع شبهة في أعين أتباعه المخلصين الذين يكبرونه من أن يصبح تابع للسلطة الحاكمة.

كذلك حرص السلطان "مسعود"علي استقدام الشاعر"منوجهري" ليشارك في الحركة الشعرية المزدهرة في بلاطه، وذلك بتعضيد من وزيره "أحمد بن عبد الصمد" نصير الشعراء والعلماء، فذهب "منوجهري" إليه شأنه في ذلك شأن غيره من شعراء عصره، وقضي أحسن فترات حياته وأكثرها خصبًا وإنتاجًا، وقد ساعده على ذلك رعاية السلطان الوافرة له[٣].

استمر حرص السلطان"مسعود"علي تشجيع العلماء حتي في أوقات الأزمات الاقتصادية وذلك بتحقيق الكفاية وتفرغ البال للعلم فقط. فقد أصاب مدينة"غزنة"سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م)سيل عظيم أهلك الزرع والأشجار، مما أدى إلى نقص في الموارد الاقتصادية، فتصدق السلطان "مسعود" بمليون درهم ومنح العطايا للفقهاء والعلماء[٤].

---

[١]- من الملاحظ كثرة مبالغات المصادر العربية في أرقام المكافآت، وهذا وإن دل فإنما يدل علي شدة كرم السلاطين الغزنويين مع علمائهم وشعرائهم.

[٢]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، ١٩٨٣م، ص٣٤.

[٣]- على الشابى: الأدب الفارسي فى العصر الغزنوى، ص١٨٥، ١٨٦.

[٤]- ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٩٥. ميرخواند: روضة الصفا، ص١٦٤. فتحى عبد الفتاح أبو سيف: النزاعات السياسية فى الدولة الغزنوية من بداية حكم السلطان مسعود الغزنوى، ص١٤٠.

كما تم بأمره بناء العديد من دور العلم من المساجد والمدارس وغيرها لتشجيع العلماء علي العطاء المستمر، وبذلك جعل المناخ مهيًا لازدهار العلم وإبداع العلماء[١].

أما السلطان "إبراهيم بن مسعود" (٤٥١هـ: ٤٩٢هـ /١٠٥٩م: ١٠٩٨م) الذي استمر حكمه اثنين و أربعين عامًا فكان حريصًا علي تشجيع العلماء مهتمًا بالعمارة والبناء، فقيل أنه لا يبني لنفسه منزلًا حتي يبني لله مسجدًا[٢]. ووصفه "البيهقي"بالسلطان العالم "أبي المظفر إبراهيم"[٣]، وكان يكتب المصحف الشريف بخطه كل عام ويرسله إلي مكة المكرمة [٤]، وبعث إلي أبي "القاسم عبد الرحمن بن أبي الصادق النيسابوري" الذى كان له مرتبة علمية عظيمة وخاصة في الطب حتي لقب ببقراط الثاني مالًا كثيرًا، ودعاه إلي الحضور إليه فقال:" السلطان يطلبني لعلمي، فأنفق عليَّ ماله لأنفقن عليه علمي، وهذا بيع وشراء، والعلم لا يباع ولا يشتري، وما لي حاجة إلي قبول تلك الأموال"[٥]. كذلك حرص السلطان إبراهيم علي تزويج جميع بناته من العلماء المشاهير، فتزوجت إحداهن من الجد الثالث لمنهاج سراج، وأنجبا إبراهيم والد العالم منهاج سراج والد العلامة سراج الدين[٦].

أما السلطان "بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم"(٥١٢: ٥٤٧هـ /١١١٨: ١١٥٢م) فكان محبًا للعلماء مكرمًا لهم باذلًا لهم الأموال الكثيرة[٧]، اجتمعت لديه صفوة ممتازة منهم

---

[١]- ميرخواند: المصدر نفسه والصفحة.

[٢]- الجوزى: المنتظم، ج٥، ص١٠٩. محمد الرفاعى: الخلافة العباسية، ص٢٠١.

[٣]- البيهقى: تاريخ البيهقي، ص٤٠٤.

[٤]- بداونى: منتخب التواريخ، ج١، ص٣٢. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص٦. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٢٥٠.

Bosworth:The Later Ghaznanavids,pv٤.

[٥]- الشهرزورى: تاريخ الحكماء، تحقيق عبد الكريم أبو شويرب، باريس، مكتبة بيبليون، (د.ت)، ص٣٢١. البيهق: تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد على، دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٦م، ص١١٥.

[٦]- جوزجانى: طبقات ناصرى، ج١، ص٢٣٩. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص٢٥١.

[٧]- ابن الأثير: المصدر نفسه ،ج٩، ص٣٩١.

القاضى محمد بن عبد الحميد إسحاق، وبرهان الدين عبد الرشيد، وعبد الرحمن البستى، ومحمد النيسابورى، وعبد الرحيم الإسكافى، وعبد الحميد الزاهدى، وكان دائم الجلوس مع العلماء والفضلاء والحكماء [١]، كما تُرجم له كتاب كليلة ودمنة ونسبه المترجم إلى اسم السلطان " كليلة ودمنة بهرامشاهى "[٢].

يتضح مما سبق أن رعاية سلاطين الدولة الغزنوية للعلم والعلماء جعل من مدينة "غزنة" جامعة عظمي تألفت فيها مختلف المعارف، وكانت ملتقي لأكبر علماء ذلك العصر بفضل التشجيع والتكريم والرعاية للعلم وأهله، فهذا العالم الشهير"البيروني" يشير في إحدي قصائده إلي الذين أكرموه لعلمه بقوله:.

مضي أكثر الأيام في ظل نعمة علي ... رتب فيها علوت كراسيا
فآل عراقٍ قد غذوني بدرهم ... ومنصور منهم قد تولي غراسيا
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتى ... علي نفرة مني وقد كان قاسيًا
وأولاد مأمون ومنهم عليّهم ... تبدي بصنع صار للحال آسيا
وآخرهم مأمون رفه حالتي ... ونوه باسمي ثم رأس راسيًا
ولم ينقبض محمود عني بنعمة ... فأغني واقني مغضيًا عني مكاسيًا
أبو الفتح في دنياي مالك ربقتي ... فهات بذكراه الحميدة كاسيا
فلا زال للدنيا والدين عامرا ... ولا زال فيها للفواة مواسيًا [٣]

وهذا "جوستاف لوبون" يقول: "ولقد سما العصر العظيم الزاهر للحضارة الإسلامية بالعلماء واستطاع أن يقيم للعَالِمِ مثلًا أعلي ساميًا حقًا"[٤]. هذا هو توقير العلماء، فهل بقي

---

[١]- على الشابى: المرجع نفسه، ص٣٦١.

[٢]- ميرخواند:المصدر نفسه، ص١٧١. الهروى: طبقات أكبرى، ج١، ص٤٦.

[٣]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٧، ص١٨٦. أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٧.

[٤]- جوستاف لوبون: حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧م، ص٣٠٩.

من توقير العلم والعلماء شيء؟! فقد تمتع العلماء فى المجتمع الإسلامى دائما حتى فى فترات التدهور بأرفع منزلة، وكان من واجب الحكام والرعية صون هذه المنزلة، والتاريخ الإسلامي ملىء بالقصص التى توضح بجلاء التبجيل الذى كان يحظى به طالبو العلم، وقد كتب العلماء إدراكا منهم لمكانتهم الرفيعة مؤلفات كثيرة تتناول قواعد الأدب والسلوك التى كان على المعلمين والمتعلمين على السواء مراعاتها.

خلاصة الأمر أن التشجيع الرسمي للعلماء كان وراء تلك النهضة العلمية التي قاومت عناصر الفناء، والتي وجدنا فيها سيلًا من التراث العلمي الذي لو لم يكن هناك جهودٌ فردية ورسمية لحفظه وصيانته لقضت عليه عوادي الزمن فيما قضت من عمران ومباني وأزمان، ولكن بالرعاية والاهتمام بقيت ثقافتنا وحضارتنا الإسلامية والتي نقطف من ثمارها الآن، وندعو الله أن تدوم تلك الحضارة وتتناقلها الأجيال لأنها حضارة القرآن.

الرحـلات العلميـة

تعتبر الرحلات العلمية من أهم العوامل التي ساعدت علي ازدهار الحياة الثقافية في مدينة"غزنة"، فقد ساعدت مكانة "غزنة" العلمية بين المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي، والرحلة منها وإليها علي اتباع سياسة الأخذ والعطاء في المجالات الفكرية دون أن يكون هناك إعاقات لتبادل الفكر والعلم خاصةً في المجال السياسي أو المجال المذهبي.

إن للرحلة في طلب العلم أهمية كبري في حياة العلماء والطلاب، لذلك جعلها "ابن خلدون" ضرورة يجب أن يسعي إليها العلماء فيقول:"فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[١]. وفى هذا الصدد قال أبو

[١]- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافى، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص١١٢٠.

أيوب الأنصارى:"من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غير عشيرته"[١]. كذلك قال أحد الشعراء فى أهمية الرحلة العلمية:

من لم يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون [٢]

كما دعا القرآن الكريم. كلمة الله إلي البشر كافة. في مواضع عديدة إلي السفر والترحال، فنذكر من ذلك قوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِينِ وَلِيُنذِرُواْ قَومَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ**﴾[٣] ففيها استنفار إلهي عظيم لتعلم شريعة الإسلام وعلومه أينما وجدت ثم نشرها في الأمة.

ومن قصة سيدنا "موسي" عليه السلام والخضر يتضح لنا استحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العَالِم من العلم مهما لاقى من متاعب وصعاب، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم علي لسان سيدنا "موسي" عليه السلام ﴿**لَقَد لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾[٤]. فالسفر في طلب العلم لا يخلو من النصب، وهو أمر لا مفر منه، لأن طلب العلم أمرٌ عظيمٌ، وأن سيدنا "موسي" عليه السلام مع كونه نبيًا اختار هذا النصب في طلب العلم [٥]. وأياَ ما كان من متاعب الرحلة فإنها في أغلب الأحيان سلوك إنسانى حضارى يؤتى ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الإنسان بعد الرحلة هو نفسه قبلها[٦].

اهتم العلماء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي بالرحيل إلي المدن الكبري للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم، والسبب في ذلك "أن الناس يأخذون معارفهم

---

[١]. القرطبى: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسى الخولى، ج١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١م، ص٤٣.

[٢]- سمية بنت حسن إبراهيم: منزلة العلم في الإسلام، ص١٠٥.

[٣]- التوبة: (١٢٢)

[٤]-الكهف: (٦٢). النسائى: كتاب العلم، تحقيق فاروق حمادة، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٣م، ص٧٣.

[٥]- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص٢٠.

[٦]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربى، ط٢، القاهرة، الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢ م، ص٢١.

تارة علمًا وتعليمًا وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيًا بالمباشرة، فعلي قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[١]. فأصبح من عادة طالبي العلم أن يسيحوا في البلاد للقاء الشيوخ ومجالسة العلماء والاطلاع علي الكتب، ومنهم من إذا نال قسطًا وافرًا من العلم فإنه يطوف بالأقطار الإسلامية يعلم ويدعو تلبية للدعوة الكريمة "خيركم من تعلم العلم وتعلمه"[٢].وذلك حرصًا منهم علي الأخذ مباشرة من كبار الشيوخ، فكانت القيمة العلمية للطالب تتناسب مع عدد الشيوخ الذين تلقي عنهم العلم [٣]، لذلك لم يكتف طالب العلم بقراءة مصنفات العلماء وحدها، وإنما وجب عليه قراءتها عليهم، أو سماعها منهم حتى يعتبر ثقة فى مادته وحجة فى علمه[٤].

كان لأبناء مدينة "غزة" من طلاب العلم دور بارز في هذا المجال، فلم نجد عالمًا منهم لم يرحل في طلب العلم من مراكز العلم المنتشرة في ذلك الوقت، ومما يسر تلك الرحلات خضوع العالم الإسلامي برقعته الواسعة لدولة واحدة، فكل الأقاليم الإسلامية كونت في جملتها بلاد الإسلام، وقامت بين الناس وحدة إسلامية شاملة لا تتقيد بالحدود السياسية، فكل مسلم كان يستطيع السفر بغير حرج داخل حدود المناطق كلها[٥]. وعندما ذهبت الوحدة السياسية بقيت وحدة الدين ووحدة اللغة وهاتان ربطتا طلاب العلم فاحتفظوا بالصلة فيما بينهم، بل لعل الرحلة كانت أقوي في عهد التفرق السياسي منها قبل

---

[١]- ابن خلدون: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٢]- فؤاد قنديل: المرجع نفسه، ص ٣٢.

[٣]- أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، كشاف للطباعة، ١٩٥٤م، ص٣١٠. عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، ط ٥، دار المعارف، ١٩٨٠م، ص٦٦.

[٤]- حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٩٨م، ص٢٨٢. محمود عرفة وحسن عبد الحميد: معالم تاريخ الحضارة العربية، الكويت، ١٩٩٣م، ص٢٨٢.

[٥]- علي حبيبة: العباسيون في التاريخ، القاهرة، مطبعة الإرشاد، ١٩٨٠ م، ص٢٦٤.

ذلك، لاعتياد العالم الإسلامي درجة من المعيشة ونوعًا من الحياة ولونًا من التفكير تحتم علي أفراده الاتصال والتبادل الفكرى والأدبى[١].

وغالبًا ما كان العلماء يبدأون رحلتهم العلمية بالتوجه إلي "مكة" للحج. ولعل السبب في ذلك يرجع إلي أن هؤلاء العلماء يودون تزكية أنفسهم باستكمال فرائض الدين وبمجاورة المسجد الحرام، فضلًا عن اختلافهم إلي أئمة العلم الذين يعيشون مجاورين له[٢]. ثم يطوفون بعد ذلك بأشهر المراكز العلمية في ذلك الوقت، وحركة التنقل هذه حفزت الكثير من أهل العلم على تدوين مشاهداتهم[٣].

هناك سببٌ آخر شجع هؤلاء العلماء للقيام بتلك الرحلات، وهو الحفاوة والتكريم الذى ينعمون به من أعيان البلد الذى يحطون الرحال فيه، فيعقدون فيه مجالس الوعظ والتذكير والمناظرة، يضاف إلى ذلك أنهم قد يتقلدون الوظائف في هذه الأماكن كالقضاء والتدريس والخطابة على اعتبار أن جميع هذه البلاد بلاد إسلامية، وإن تعددت حكوماتها واختلف حكامها[٤].

---

[١]-الجوينى: البرهان فى أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، ج١، ط٢، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٩م، ص٣٥. نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، ط٣، بيروت، الأهلية للنشروالتوزيع، ١٩٨٢م، ص١٥. منيرة ناجى سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعاني وكتابه التحبير في المعجم الكبير، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٣١.

[٢]- عبد البارى محمد الطاهر: خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العلم الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٤٤.

[٣]- عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عدنان محمد الطعمة، ج٢، طهران، مؤسسة نشر التراث المخطوط، ١٩٩٩م، ص١٣٠. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٩م، ص٨٩. محمد الخضر حسين: أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية، دمشق، المجمع العلمى العربى، ١٩٥٤م، ص٣١٨.

[٤]- منيرة ناجى سالم: المرجع نفسه والصفحة.

وعلي ذلك فكل مصر من أمصار العالم الإسلامي يؤلف مركزًا للإرسال والاستقبال في ذات الوقت، فهو يعطي جماهير الطلبة التي تأتيه من الأمصار الأخرى مجموع العلم الذي اختزنه، ويمد حصيلته باستمرار عن طريق الطلاب الذين يرسلهم لتحصيل ما اجتمع من العلم فى الأمصار الأخرى، وكان قيام كل مركز بهاتين الوظيفتين بصورة متوازنة يؤدى إلى تقدم الثقافة الإسلامية بصورة عامة [١].

ولتوضيح دور الرحلة فى الازدهار الثقافي لمدينة "غزنة" سنذكر أمثلة عن أهم العلماء الذين ارتحلوا من "غزنة" في طلب العلم أولًا، وكذلك عن أهم العلماء الذين شدوا الرحال إليها لينهلوا من علم علمائها الأجلاء.

أ - الرحلة من "غزنة" إلي الأمصار الأخرى

يعتبر"أبو الريحان البيروني"(٣٦٢ – ٤٤٠هـ / ٩٧٣ – ١٠٤٨م)[٢]من أوائل الباحثين الذين دفع بهم حب العلم والتعرف علي أحوال الناس إلي السفر لأماكن إقامة هذه الشعوب، فساح في أقاليم كثيرة، وأقام في كل بقعة وصل إليها مدة غير يسيرة لكى يتيسر له الإحاطة بأحوالهم من النواحى العلمية والدينية والتعرف بجغرافية بلدهم، فكانت إقامته في "غزنة" من العوامل التي ساعدته علي القيام بعدة رحلات علمية إلي الهند، وكان هدفه من ذلك القيام بدراسة علمية دقيقة علي الطبيعة للتعرف علي تاريخ وثقافة وديانات الهند[٣]. وذهاب "البيروني" إلي الهند كان في مقتبل حياته مرافقًا للسلطان "محمود الغزنوى"(٣٨٨:٤٢١هـ / ٩٩٨:١٠٣٠م) في حملاته علي الهند، وبينما كان الجيش الغزنوي يتقدم في الفتح كان البيروني يدرس ويتعلم ويبحث ويقارن، ويسجل ما وصل إليه من

---

[١]- ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية في الشام والجزيرة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص٣٥٩.

[٢]- لم يعرف تاريخ وفاته بالضبط إلا أنه يرجح أنه حدث حوالى سنة (٤٤٠هـ /١٠٤٨م). وهناك من يحدده بسنة (٤٤٣هـ /١٠٥١م). ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٧، ص١٨٦. الشكل رقم (٢)

[٣]- أبو الفتوح التوانسي: أبو الريحان البيرونى، ص٣٢.

نتائج [١]، حتي انتهي بتأليف كتابه العظيم "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"[٢].

كما قضي "البيروني" أكثر من أربعين سنة يبحث عن نسخة من كتاب "سفر الأسفار" لماني[٣]، وذلك لتوخي الحقيقة فيما رواه "أبو بكر الرازى"عن"مانى"، وقد وصل في النهاية أن "الرازي" قد خُدِع بما أطلع عليه[٤].

ومن هؤلاء العلماء أيضا "أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي" (ت ٤٦٥هـ /١١٦٩م) الذي تلقي علومه الأولي في موطنه "غزنة"، وعندما بلغ مبلغ الشباب سلك مسلك علماء عصره في السفر والتجوال، وقام برحلات واسعة النطاق، تنقل خلالها في أرجاء العالم الإسلامى من بلاد الشام إلى التركستان، ومن بحر قزوين إلي الهند، وأمضي في هذه المناطق فترات كانت تقصر حينًا وتطول أحيانًا، واختلف خلالها إلي عدد من شيوخ الصوفية المعروفين، وقد تمكن عن طريق هذه الرحلات من

---

[١]- عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم: الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامى(مع فصول من كتاب تحقيق ما للهند)، مصر، مطبعة مخيمر، ١٩٥٩م، ص٥. محمد أبى الصلاح: البيرونى يسيح فى الهند، مجلة ثقافة الهند، العدد١٢، يناير١٩٦١م، ص٣٨.

[٢]- سيأتى الحديث تفصيلا عن الكتاب عند تناوله فى علم التاريخ.

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids ,p٣٨.

[٣]- مانى: هو زعيم مذهب المانوية، كان راهبًا بحران، ولد عام(٢١٥هـ / ٨٣٠ م)أو (٢١٦هـ /٨٣١م)، وقد استمر هذا المذهب قائمًا إلى القرن السابع الهجرى، وكانت تعاليمه مزيجًا من الديانة النصرانية والزرادشتية، وخلاصة هذا المذهب أن العالم كما يقول زرادشت نشأ عن أصلين وهما النور والظلمة، وعن النور نشأ كل خير وعن الظلمة نشأ كل شر، وأن الخير والشر قد امتزجا فى هذا العالم، وأن هذا الامتزاج شر، ومن أجل ذلك حرم النكاح، حتى يستعجل الفناء ودعا إلى الزهد وشرع الصيام سبعة أيام دائما فى كل شهر، وفرض صلوات كثيرة وقال عن نفسه أنه مانى النبى الذى بشر به عيسى، وقد أثار هذا المذهب مسائل دينية كثيرة كانت موضوع جدل بين علماء الإسلام.(محمد عطيه الإبراشى وأبو الفتوح محمد التوانسى: سلسلة تراجم أعلام الثقافة العربية، المجموعة الثالثة، (د.ت)، ص١٣٨)

[٤]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٣٧.

الاتصال بكثير من كبار رجال الدين والأئمة الصوفية فى عصره، فتجادل معهم في المسائل التي كان يهتم بها، وجاهد في الوقت نفسه لكي يستطلع آراءهم ويقف علي مذاهبهم، وبذلك استطاع التزود من جميع أنواع الثقافة الإسلامية التي كانت منتشرة فى كل بقعة من العالم الإسلامى[١].

ارتحل كذلك من "غزنة" "أبو المؤيد عيسي بن عبد الله بن القاسم الغزنوي الواعظ"، إلي خراسان ثم إلي مكه وقام بأداء فريضة الحج، وانتهي به المطاف إلي اسفرايين وتوفي بها سنة (٤٩٨هـ / ١١٠٤م)[٢].

هكذا كان شأن جميع علماء "غزنة" حيث لم يكن يكتفي أحدهم بتحصيل العلوم والمعارف في مقر إقامته، بل كان يرحل إلي أى بلد يسمع أن بها شيخًا كبيرًا قد يستفيد من علمه حرصًا منه علي أن يكون متسع الثقافة ملمًا بشتي ألوان المعارف.

ب - الرحلة من الأمصار الأخرى إلى "غزنة"

كانت مدينة غزنة في ذات الوقت مركز استقطاب للعديد من علماء الأمصار الأخري، ونذكر منهم "محمد بن الحسين الروبابخاهي" وهو من نواحي بلخ، رحل إلي مرو ثم إلي غزنة وسكنها[٣].ومنهم الأديب الكبير "بديع الزمان الهمذاني"(ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)الذي اتسمت رحلاته بالخصوبة والإثارة معًا، حيث زار العديد من المدن منها أصبهان

---

[١]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٥٥، ١٤٤.

[٢]- عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ص١٣٠.

[٣]- السمعانى: الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودى، ج٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، ص٩٩.

وجرجان ونيسابور و سرخس وغزنة التي عاش فيها في كنف السلطان "محمود " الشهير برعايته للأدباء وتشجيعهم على الإقامة في بلاطه[١].

ومن هؤلاء الرحالة "شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطيه بن مقاتل البكري الحجازي" رحل إلي بغداد وخراسان ثم انتهي إلي غزنة، ثم عاد إلي خراسان، وقصد كرمان، وبلاد ما وراء النهر ونزل مدينة هراة ثم توجه إلي مرو واستوطنها، توفي في حدود سنة(٥٠٥هـ / ١١١١م)[٢].

ومنهم أيضا "أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي"(٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)من علماء نيسابور، رحل إلي الهند وخوارزم و"غزنة"[٣]، ثم رجع إلي نيسابور، و حصل علي إجازات عن كل حديث سمعه فى رحلته[٤].

وفي حقيقة الأمر أن هناك الكثير ممن ارتحلوا إلى مدينة "غزنة" في طلب العلم، كما سيتضح في ثنايا الحديث فيما بعد، ومما لا شك فيه أن تلك الرحلات كان لها أبعد الأثر في ازدهار الحياة الثقافية في مدينة "غزنة"، فالرحلة هى اليد التي تمتد لتقرب الشعوب والأقوام التي تفصل بينها القفار والبحار ليتم التعارف فيما بينهم، فثمار الرحلة لا تتوقف عند التعارف أو صقل الشخصية وكشف المجهول من طبائع الشعوب لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتعذر حصرها، وخاصةً إذا كان صاحب الرحلة

---

[١]- الثعالبى: يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ج٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٢٩٤.

[٢]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٥٧، ٢٥٨.

[٣]- السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو، ج٧، بيروت، مكتبة عيسى البابى، ١٩٦٧م، ص١٧٣. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج٦، ص٢٤٥.

[٤]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ترجمة محمود سيد محمد، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٩٤م، ص٩٧.

متمتعًا بقوة الملاحظة ويقظة الحواس والرغبة في التحصيل والحرص علي التدوين والتسجيل[١].

كذلك للرحلة الأثر الكبير في سمو الفكر إذ يأخذ العالم بها من التجارب ما لا يؤخذ وهو مقيم في بلده، ولها أيضًا أثر فى تهذيب الطباع ورقى الآداب، ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوى في نفسه خلق الحلم والصبر، كما أن العالم يرحل من وطنه حاملًا علمًا غزيرًا وينزل بين جماعات فى بلاد مختلفة فيرونه مثالًا لأهل العلم والأدب، فيرتفع شأن قومه فى أنظارهم، والرحلة تنقل العلم من مكان إلي أخر علي وجه أنفع وأثبت مما تنقله المؤلفات وحدها، كما أن لها فضل كبير في حفظ جانب كبير من التاريخ حفظته الكتب التي يودعها فيها مؤلفوها ما شاهدوه خلال أسفارهم من وقائع وأحوال[٢].

وخلاصة ما سبق كان للرحلة دور كبير في ازدهار الحياة الثقافية في مدينة "غزنة"، وذلك عن طريق تنشيط الفكر والخيال وتحفيزه على نقل المعارف والعلوم، الأمر الذي كان له أبعد الأثر في تحرير صفحات عديدة من صفحات العلوم الإسلامية التي تألقت علي مسافة شاسعة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي لقرون عديدة بغرسها أشجار العلوم والآداب وشتي ضروب المعارف.

❋ مجالس المناظرات [٣]

---

[١]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة فى التراث العربى، ص٢٣.

[٢]- محمد الخضر حسين: أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية، ص٣٢٥، ٣٢٢.

[٣]- المناظرة: فن من فنون القول ينتج عن اجتماع طرفين من أهل الفكر أو الأدب في مجلس يضم جمهورًا، يقع بينهما بحث فى موضوع يتفق عليه سلفًا أو يثار في المجلس، وهدف المتناظرين إظهار الحق والوصول إلي الحقيقة والإذعان لها من أي طرف جاءت، وعموم الجمهور أو العلماء يحكم بين المتناظرين، وقد تبدأ المناظرة برأي أو سؤال، وتنتهي بانقطاع حجج أحد طرفيها، فتكون الغلبة للآخر. وهي تختلف عن الجدل الذي يعرف بأنه مشادة كلامية أو فقهية تهدف إلي تحقيق الغلبة لما أعتنق من مذهب، فالجدل هو الدفاع عن قضية أو السعي لهدمها بغض النظر عن طبيعتها أو علاقتها بالحقيقة.(رحيم الحسناوى:

لا شك أن المناظرات كانت من أهم سمات القرن الرابع الهجري، وكان الاتجاه السائد في ذلك الوقت يميل إلي تشجيع المناظرات علي اعتبار أنها وسيلة لتوسيع الأفق الفكري، وآداة للتبادل العلمي والثقافي، فقد اختارها العلماء والشيوخ طريقًا لتعميق المعرفة، وصارت مقياسًا لعلمهم يوصفون بها، ووسيلة من أهم وسائل نشر أفكارهم والتعريف بفرقهم ومذاهبهم[١]. فمع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين أصبحت المناظرة فرعًا راقيًا من فروع الدراسات الفقهية، فمن أراد أن يصبح فقيهًا ضليعًا فعليه أن يبرع في المناظرة.

إذن فالمناظرات ساعدت علي ازدهار الجوانب الثقافية في العالم الإسلامي ككل، كما كان لها تأثير بالغ في تفكير المسلمين لأنها استلزمت إحاطة المتناظرين بعلوم شتي مع مراعاة التزامهم بقواعد المنطق، ويعد هذا من أبرز دعامات الثقافة الإسلامية التي التزم بها العلماء المسلمون[٢].

وتعد المناظرات كذلك من الثمار الراقية للحضارة الإسلامية، وعامل من عوامل تقدمها، ذلك لأنها اقترنت بآداب رافقتها وظلت ملازمة لها. ومن أهم آدابها التزام طرفيها بأن الغاية منها كشف الحقيقة [٣]، والوصول إليها عن طريق أحدهما، ولا يهم من أى منهما كانت[٤]، لأن المقصود بها ظهور الحق وطلب الفائدة [٥]، متذكرين قول الله تعالي ﴿ لِيُحِقَّ

المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، عمان، الأردن، دار أسامة، ١٩٩٩م، ص٥٤. بركات محمد مراد: منهج الجدل والمناظرة في الفكرالإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣. حسين الصديق:المناظرات في الأدب العربي الإسلامي، الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٠م، ص٦٢. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٢٧)

[١]- رحيم الحسناوى: المرجع نفسه، ص١٨.

[٢]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٨.

[٣]- الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص٥٦.

[٤]- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص٣١. حسين الصديق: المرجع نفسه، ص٦١.

[٥]- ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص٩١.

﴿الحَقَّ وَيُبطِلَ البَاطِلَ وَلَو كَرِهَ المُجرِمُونَ﴾[١]. كذلك تتطلب آداب المناظرة جلوس المتناظرين متقابلين في المجلس[٢]، والتزام الهدوء والروية وحسن الإصغاء وقلة الكلام وترتيبه[٣].

كان يوم الجمعة هو اليوم المفضل لعقد المناظرات حول جميع مسائل العلوم الدينية [٤]، أما موضوعاتها فلم تقتصرعلي فرع من فروع العلوم، وإنما شملت مختلف العلوم في الحضارة الإسلامية، بل يمكننا القول أن مواضيعها لم تحدد قط، والذي ساعد علي ذلك تنوع مجالات الثقافة وتعددها في ذلك الوقت، وظهور متخصصين في مجالات عديدة منها.

كان لحرص سلاطين الدولة الغزنوية على اجتماع العلماء من الفقهاء والمتكلمين والأدباء واللغويين أثره في ازدهار المناظرات، فكان كل هؤلاء يجتمعون في بلاط "غزنة" لعقد المناظرات، وكثيرًا ما كان السلاطين يأمرون بعقدها ويتولون هم رئاستها، وكان الغرض منها الفصل في الخلافات التي تقع بين العلماء مختلفى المذاهب، وهذا ما فعله السلطان "محمود" عندما عقد مجلس مناظرة بين الأستاذ "أبي إسحاق الإسفراييني" وبين الكرامية [٥]، وذلك لأن آراء ابن كرام وأتباعه أثارت الفرق الإسلامية الأخري لما فيها من مخالفة ظاهرة لما أوجبه الإسلام من اعتقاد التنزيه، لذلك تصدي العلماء لمناظراتهم[١].

---

[١]- الأنفال: (٨)

[٢]- رحيم الحسناوى: المناظرات الأدبية واللغوية، ص٨١.

[٣]- عنصر المعالى: قابوسنامه (كتاب النصيحة)، ترجمة صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوى، دار الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م، ص١٦٤. رحيم الحسناوى: المرجع نفسه، ص٨٢.

[٤]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١١٠.

[٥]- الكرامية: نسبة إلي "أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني"(ت٢٥٥هـ / ٨٦٩م)، كان والده يعمل خازنًا للكروم، فقيل له كرام، كان قليل العلم، أخذ من كل مذهب ضغثًا وضمنه في كتاب أسماه "عذاب القبر"، وتنقل في أماكن كثيرة ناشرًا مبادئه وتعاليمه معلنًا خلافه للمذاهب السنية والشيعية علي السواء، ويتلخص مذهب الكرامية في أنهم يجسمون المعبود، فقال "محمد بن كرام" عنه أنه جسم له حدود ونهاية من تحته ومن الجهة التي منها يلاقي عرشه، وقالوا: إن النبوة والرسالة صفتان وحالتان في النبي

كما انعقدت المناظرات في "غزنة" للمناظرة بين السنة والشيعة، فعندما أرسل الخليفة الفاطمي "الحاكم بأمر الله"(٣٨٦: ٤١١هـ / ٩٩٦: ١٠٢٠م) داعيا إلي السلطان "محمود" رفض السلطان مقابلته، وبعث إليه عدد من العلماء لمناظرته علنًا وإثبات بطلان نسبه وفساد عقيدته[٢].

ويظهر من ذلك أن المناظرات المرتبطة باختلاف المذاهب أصبحت من مظاهر العصر العلمية في ميدان العلوم الدينية، وهي انعكاس للصراع المذهبي الذي كان مشتعلا في ذلك الوقت، فعمل كل فريق علي نصرة مذهبه[٣]. وممن دعا إلي عقد المناظرات في مدينة غزنة الإمام "أبو بكر بن فورك"(ت ٤٠٦هـ /١٠١٥م)الذي أجرى مناظرات عظيمة بها[٤]. و"أبو المحاسن سعد الجولكي"(ت٤٥٤هـ /١٠٦٢م)[٥].

كما كان"شمس الدين أبو المكارم أحمشاذ الغزنوى"(ت ٥٥٢هـ /١١٥٧م) من كبار المناظرين فى مدينة "غزنة" ناظر فى المسائل الخلافية فى الفقه، ومن إنشاده الذى يدل على غلبته فى هذا المجال:-

---

والرسول، وزعموا أن من فيه هذه الصفة وجب علي الله تعالي إرساله.وتبلغ فرق الكرامية اثنتى عشر فرقة لكن أصولها ستة وهم: العائذية والنونية والإسحاقية والواحدية والزرينية والهيصمية ولكل فرقة رأى فى التجسيم.(الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، ج١، القاهرة، مؤسسة الحلبى، (د.ت)، ص١٠٩. محمد الإسفراييني: التبصير في الدين، تحقيق محمد زاهر الكوثرى، القاهرة، مطبعة الأنوار، ١٩٤٠م، ص٦٦. الصفدى:الوافى بالوافيات ،ج٤، ص٢٦٥. سهير محمد مختار: التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية، القاهرة، ١٩٧١م، ص٤٧)

[١]- أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٦م، ص١٠٩.

[٢]- السمعانى: الأنساب، ج١، ص٤٤٤. الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٩١.

[٣]- مرتضى راوندى:تاريخ اجتماعى إيران، جلد بنجم وهشتم، چاب سوم، طهران، ١٣٧٤، ص٣٤٦.

[٤]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٨١.السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص١٣٠. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٣.

[٥]- السمعاني: الأنساب، ج٢، ص١٢٤.

مالي إذا ألزمته حجـــة عـــارض إلزامي بالقهقـهه

إن كان فقه المرء في ضحكه فالدب في الصحراء ما أفقهه [١]

وإذا أعجب السلطان بأحد طرفى المناظرة ينعم عليه بإنعامات عظيمة، وهذا ما حدث مع الفقيه "أبي النصر التباني" عندما نال إعجاب السلطان "محمود " في إحدي المناظرات فأسند إليه منصب قاضي قضاة إقليم ختلان[٢].

وكان للصوفية نصيب من هذه المناظرات وخاصة مع علماء الهنود لإقناعهم بالإسلام، وقد شارك "أبو الحسن الهجويري"(ت٤٦٥هـ /١٠٧٢م) في تلك المناظرات حيث عقد له مجلس مناظرة مع أحد حكماء الهنود فأفحمه تمامًا، كما أشار في كتابه "كشف المحجوب" إلي مناظرة وقعت في بلاط "غزنة" بينه وبين أحد مدعي العلم في مسألة تتعلق بالتصوف[٣].

وهناك من المناظرات ما كان يهدف أحد طرفيها إلي اكتساب الشهرة بتحدي العلماء البارزين ومناظرتهم، وهذا ما حدث مع "بديع الزمان الهمذاني"(ت٣٩٨هـ /١٠٠٧م) الذي جرت بينه وبين "أبى بكر الخوارزمي"(ت ٣٨٢هـ /٩٩٢م) مناظرات تباحثا فيها في شتي ضروب الأدب المعروفة في عصرهما، ولاقت مناظراتهما صدي كبير لدي جمهور الأدباء، وكان لها تأثير كبير في حياة "بديع الزمان الهمذاني" بانتصاره علي"الخوارزمي" الذي لم يتجرأ علي مجاراته أحد، فذاع صيته في الآفاق، وارتفع قدره عند الملوك والرؤساء، وكانت سببًا في ذهابه إلي "غزنة" وتقربه من السلطان "محمود "، وتمتعه في"غزنة" بعيشة هنيئة[٤].

---

[١]- الأصفهانى: خريدة العصر، ج٢، ص١٣٦.

[٢]- البيهقى: تاريخ البيهقي، ص٢٢٦.

[٣]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٥.

[٤]- الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٩٥. مصطفي الشكعة: بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٧٥.

الخلاصة أن تلك المناظرات كان لها دورعظيم فى ازدهار الحياة الثقافية فى مدينة "غزنة"، فقد أغنتها وزودتها بالعديد من المصطلحات الفلسفية والعلمية والكلامية، وفتحت أمام التراث الديني أبعاد جديدة وسعت مدي أفقه الثقافى.

الترجمـــة[١]

الحضارات المختلفة ما هي إلا أخذ وعطاء، وذلك الأخذ وهذا العطاء ليس بمقدورهما أن يتحققا دون اللجوء إلي وسيط، ونعني به الترجمة من اللغات المختلفة التي كتبت بها علوم تلك الحضارات[٢]، فالترجمة وسيلة من وسائل التعرف على الآخر والوقوف على أشكال ونماذج من التنوع الخلاق فى مجال الفكر والإبداع على حد سواء. لذلك كانت الترجمة من العوامل المهمة وراء ازدهار الثقافة ليس في مدينة "غزنة" فحسب ولكن في العالم ككل[٣].

كانت البداية الفعلية لنشاط حركة الترجمة بعد استقرار أمور الحكم وزيادة الثروات ونشاط الرحلات وظهور نوع من الاتصال الثقافي بين الأمم ذات الحضارات القديمة، فأقبل العلماء علي احتضان التراث المتنوع الذي اكتشفوه في الممالك الجديدة التي انتشر فيها

---

[١]- الترجمة: فى اللغة هى التعبيرعن لغة بلغة أخرى، وترجم فلان كلامه أى وضح وبين وترجم كلام غيره إذا عبرعنه بلغة غير لغة المتكلم، وهي ايصال فكرة أو تبليغها أو تحويل التبليغ إلي لغة أخرى وإعطاؤه شكلًا مكتوبًا أو مسموعًا، أو هى وضع صيغة مطابقة لصيغة في لغة النقل. (النسائى: كتاب العلم، ص٧٩.علي إبراهيم الحمد النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ط٣، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٦م، ص١٧)

[٢]- رشيد الجميلى: حركة الترجمة في المشرق في القرنين الثالث والرابع، ص٣١٣.

[٣]-Georg Sarton: The History of Science,New York ,١٩٥٦,p٨٢.

الإسلام، ومن اللافت للانتباه أن ذلك التراث حظي بالتعظيم والاحترام من قبل علماء الإسلام، فانكبوا عليه لترجمته للعبور به من الماضي إلي الحاضر كخطوة أولي علي وجه السرعة ليبدأ استخدامه بعد ذلك[١].

وخلال فترة وجيزة كان علماء الإسلام قد اتموا عملًا جليلًا في الكشف عن التراث الثقافي العظيم الذي وصل إليهم من الحضارات الأخري، فقد اطلع العلماء علي المؤلفات العلمية لهذه الحضارات واستفادوا من جهود الأمم السابقة، فصححوا أخطاءها وأكملوا ما نقص منها، هذا بالإضافة إلي ابتكارهم علوم جديدة، فكان للترجمة دور كبير في تطوير وابتكار أشياء جديدة عن طريق التجارب وخاصة في العلوم العقلية، لأنها مزيج من النقل والابتكار في ذات الوقت[٢]، مما سيتم توضيحه في الفصول القادمة إن شاء الله.

تعتبر مرونة اللغة العربية من أهم العوامل التي يسرت حركة الترجمة. وبالتالي ازدهار الحياة الثقافية. فكثرة مترادفاتها وقدرتها علي التعبير جعلها تستوعب كل العلوم والمعارف بكل يسر، فأصبحت وسيلة ناجحة للنقل دون عناء، واستطاع المترجمون أن يجدوا في مواردها الخصبة أداة غنية بالتعبير والمترادفات مكنتهم من استغلالها في وصف أدق الحالات وأعقدها[٣]. كما كان دخول أمم كثيرة تحت ظل الإسلام من فرس وهنود وسريان وغيرهم، والذين لجأوا إلي نقل تراثهم الفكري علي سبيل المباهاة، ليثبتوا ما كانت عليه حضاراتهم من رقي دوره فى ازدهار الترجمة [٤]. وقد عبرت الترجمة الفارسية لكتاب"كليلة ودمنة"عن هذا التوجه.

كذلك كان لظهور الفرق الإسلامية الأثر الكبير في ازدهار حركة الترجمة، فكل فرقة حاولت دعم آراءها وأفكارها والدفاع عن عقيدتها أمام المخالفين لها، ولذلك كانوا في

---

[١]- تيرنر: العلوم عند المسلمين، ترجمة فتح الله الشيخ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ص٥٩.

[٢]- عبد الله المشوخى: موقف الإسلام والكنيسة من العلم، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٨٢م، ص٦٤.

[٣]- رشيد الجميلى: حركة الترجمة في المشرق في القرنين الثالث والرابع، ص٥٥.

[٤]- علي إبراهيم الحمد النملة: المرجع نفسه، ص٦٤.

حاجة إلي قوالب علمية منطقية تصب فيها أفكارهم لتزداد انطلاقًا، فلجأوا إلي وسائل الفلاسفة للرد علي خصومهم، وذلك عن طريق ترجمة الكتب الفلسفية، الأمر الذي ترتب عليه شدة الإقبال علي تلك الكتب وترجمتها[١]، فانكب العلماء علي ترجمة المؤلفات اليونانية والفارسية والسريانية وغيرها.

هذا وقد اعتمدت عملية الترجمة في دقتها وأمانتها علي تمكن المترجمين من اللغة العربية وإتقانهم اللغات الأخرى التي ينقلون منها، فأقبلوا علي الكتب بحب وشراهة واستوعبوا كل ما فيها ثم بدأوا في تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها وحذف ما يتنافي مع الشريعة الإسلامية، كما أضافوا إليها من تجاربهم وخبراتهم[٢]. كما أنهم بذلوا جهودًا عظيمة في الحصول علي أوثق الأصول والمقابلة بينها وتنقيحها، بل كانوا يترجمون النص الواحد أكثر من مرة للوصول إلي درجة عالية من دقة الترجمة وبساطة التعبير[٣]، وهذا ما سيتم توضيحه في ثنايا الحديث عن علماء مدينة "غزنة" ودورهم في حركة الترجمة.

كان "ابن الخمار"[٤](ت بعد ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) من بين هؤلاء الأعلام الذين ساهموا بجهد لا يمكن إنكاره في ترجمة التراث السرياني إلى اللغة العربية[١]، ومن أهم الكتب التي ترجمها:.

---

[١]- رشيد الجميلي: حركة الترجمة في المشرق في القرنين الثالث والرابع، ص٥٧.

[٢]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٣٢.

[٣]- الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق فان فلوتن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ص٢٢.

[٤]- أبو الخير الحسن بن بابا سوار بن بهنام المعروف بالخمار، كان في الأصل مسيحيًا نسطوريًا سريانيًا، ولد عام(٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، قرأ الحكمة علي يد يحي بن عدي، كان فطنًا مضطلعًا بعلوم الصحابة؛ صادف نجاحًا كبيرًا كطبيب، ومن أجل هذا سمي "أبقراط الثاني"، دعاه السلطان "محمود " إلي قصره في"غزنة"، وهناك أسلم، وهو في سن متقدمة.(الشهرزورى: تاريخ الحكماء، ص٢٩٦.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٥١. محمد فتحي عبد الله: مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، الأسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٠م، ص١٧١. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج٤، ص١٥٢. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٨١)

- في المنطق:

- كتاب اللبس في الكتب الأربعة في المنطق الموجود من ذلك، نقله من السريانية إلي العربية.

. كتاب تقسيم إيساغوجي وقاطيغورياس لأليوس الأسكندري، نقله من السريانية إلي العربية.

- ترجمة عربية لتعليقات "يحيي بن عدي" السريانية علي التحليلات الأولي.

- في الطبيعيات:

- الآثار العلوية، وهو ترجمة لكتاب أرسطوطاليس المعروف بهذا الاسم، نقله من السريانية إلي العربية.

- في الأخلاق:

- كتاب مقالة في الأخلاق، نقله من السريانية إلي العربية.

- في ما بعد الطبيعة:

- مسائل ثاوفرسطس، نقله من السريانية إلي العربية[٢].

ولا ترجع أهمية "ابن الخمار" فى مجال الترجمة إلى قيامه بترجمة بعض الكتب السريانية إلي العربية وإنما ترجع إلي ما أشار إليه من المنهج الذي ينبغي إتباعه في الترجمة لتصحيح ما وقع فيه المترجمون من أخطاء وكيفية تلافيها، فهو يري أن من يقوم بالترجمة ينبغي أن يكون حاصلًا علي شروط معينة حتي يتمكن من الترجمة الصحيحة.

---

[١]- الشهرزورى: المصدر نفسه والصفحة. محمد فتحي عبد الله: المرجع نفسه، ص١٧٤. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٢٨٢.

[٢]-إبراهيم محمد تركى: ابن الخمار فيلسوف من القرن الرابع الهجرى، الأسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٥م، ص٥٢. محمد فتحي عبد الله: المرجع نفسه، ص١٧٣، ١٧٤.

ومن تلك الشروط: أن يكون المترجم علي دراية عميقة بمعاني الألفاظ في اللغة التي يترجم منها والتي يترجم إليها، وأن يكون علي علم بالاستعمالات المتعددة للألفاظ سواء في اللغة التي يترجم منها أو إليها، ومن الأفضل أن تكون الترجمة مباشرة من اللغة الأصلية للكتاب الذي يراد ترجمته وذلك لأن الترجمة الأولى قد يحدث فيها أخطاء لا يمكن تجنبها في الترجمة الثانية[١].

ويعد "أبو الريحان البيروني"(ت٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) كذلك من أهم رواد حركة الترجمة في مدينة "غزنة"، فقد قام بترجمة العديد من الكتب، والذي ساعده في ذلك إجادته للعديد من اللغات السائدة في ذلك العصر، فكان يعرف إلي جانب العربية الفارسية والعبرية والسريانية والسنسكريتية[٢]. لغة الثقافة الهندية الأولي- والتي دونت بها المؤلفات الهندية الشهيرة، والتي ساعدته معرفته بها علي إنجاز مؤلفاته الهامة عن الهند[٣].

---

[١]- إبراهيم محمد تركي: ابن الخمار فيلسوف من القرن الرابع الهجرى، ص٨٣. عبد الرحمن بدوى: منطق أرسطو، ج٣، بيروت، دارالقلم، ١٩٨٠م، ص١٠٥٣.

[٢]- سنسكريت: معناها اللغة التامة أو المهذبة، لغة الهنود القديمة أخذت فى الاضمحلال قبل الميلاد بنحو قرن، فصارت كاللاتينية فى عصرنا، يستعملها العلماء والنحاه فى تواليفهم، وسميت سنسكريت للفرق بينها وبين البراكريت وهى اللغة العامية. والسنسكريتية أقدم اللغات الهندية وأكثرها إحاطة بأحوال الشعوب والأمم الهندية وتكتب بحروف تدعى "ديفاناغاري" أي المدينة الأهلية وعددها ٥٣حرفًا، ومن أقدم ما دون بها "الفيدا "أو كتب الهنود الأربعة المقدسة ونظامات "مانو" وقصائد "رامايانا" و"ماهابهاراتا ". والبراهمة يتعلمونها إلى اليوم، وكذلك الأشراف والأغنياء فى الهند.(محمد عطية الإبراشى وأبو الفتوح محمد التوانسى: سلسلة تراجم أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر الإسلامى، ص١١٩)

[٣]- محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، مكتبة القرآن، القاهرة، (د.ت)، ص١٥٢. أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٣٦. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٨٢.

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids ,٣٨.

أما الذى دفعه إلي تعلم تلك اللغة ما قاله عن نفسه:"كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتى فيما بينهم، وقصورى عما هم فيه من مواضعاتهم"[١]. أما عن تعلمه اللغة اليونانية فقد قال عن نفسه:"جاءنا في شتاء عام (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) رجل رومي، وقد حظيت منذ حداثتى بفرط الحرص علي اقتناء المعارف بحسب السن والحال، ويكفي شاهدًا عليه أن روميًا (رجل يوناني) حل أرضنا فكنت أجئ بالحبوب والبذور والثمار والنبات وغيرها، وأسأله عن أسمائها بلغته وأحررها"[٢].

وكانت هذه أول إشارة إلي تعلمه اللغة اليونانية، فحرصه على سلامة منهجه العلمى هو الدافع الذى دفعه إلي دراسة عدة لغات لأنه أخذ علي نفسه تحقيقًا لمنهجه الالتزام بالرجوع إلي المصادر الأصلية فيما يكتبه التزامًا صارمًا.

أما عن أهم الكتب التي قام "البيروني" بترجمتها كتاب "بياتنجل"[٣]Pateingle وعنوانه "جوكاسوترا"، وهو في موضوع تخليص النفس من رباط البدن[٤]، فهو يصور فلسفة جوكا الهندية وهى فلسفة دينية تقوم على أساس تعذيب الجسد فى سبيل خلاص النفس. وقد اتبع البيرونى فى ترجمة هذا الكتاب طريقة السؤال والجواب، وقد تكرر السؤال والجواب فى هذا الكتاب مرات عديدة، ومن أمثلة تلك الأسئلة والأجوبة ما يأتى:.

. قال السائل: من هذا المعبود الذى ينال التوفيق بعبادته ؟

---

[١]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص٢٠.

[٢]- البيرونى: الصيدنة، تحقيق الحكيم محمد سعيد و رانا إحسان، باكستان، مؤسسة همدرد الوطنية، ١٩٧٣م، ص١٤.

[٣]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٦. (بياتنجل مؤلف هندي عاش تقريبًا حول سنة ٣٠٠م، وكتابه "جوكاسوترا" كلمة "جوكا" في اللغة الهندية معناها: التصوف الهندى، وهو مخالف للتصوف الإسلامى فالتصوف الهندي نوع من الزهد الغاية منه الوصول إلى تلك الأعمال العجيبة المشهورة التى منها رفع الجسم فى الهواء وتحريك الأشياء البعيدة، أما كلمة "سوترا" فيقصد بها المتن الذي يحفظ، ويكون معنى جوكاسوترا متن التصوف الذى يجب أن يحفظ). التوانسي: أبو الريحان البيروني، ص٧٦.

[٤]- حسن حنفى: من النقل إلي الإبداع، ج ١، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠م، ص١٠٥.

. قال المجيب:هو الله المستغنى بأوليته ووحدانيته عن فعل لمكافأة عليه براحه تؤمل وترتجي أو شدة تخاف وتتقى.

. قال السائل: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟

. قال المجيب: له العلو التام فى القدر لا المكان فإنه يجل عن التمكن، وهو الخير المحض التام الذى يشتاقه كل موجود [١].

كما تمكن بمساعدة الباندیت الهنود[٢]من ترجمة كتاب فى المبادىء ووصف الموجودات، واسمه "سانك"[٣]، وقد اعتمد في مؤلفه عن الثقافة الهندية اعتمادًا رئيسيًا علي مصادر هندية من بينها كتاب "البهجفنتجيتا"القيم[٤]، وقام بالترجمة من اللغة العربية إلي السنسكريتية، كتاب"الأصول في الهندسة"لإقليدس، وكتاب"المجسطي في علم الهيئة" لبطليموس، وكتاب"العمل في الإسطرلاب"[٥]، وبذلك بسط البيروني لعلماء الهند ما عند علماء اليونان من نظريات هندسية ورياضية، فعلت مكانته وسمت منزلته عندهم، وأقبلوا علي علمه وتنافسوا علي حضور مجالسه.

إذن "فالبيروني" يعتبر أول عالم مسلم يربط علوم الهند بعلوم الإسلام عن طريق دراسته لفلسفة الهند، وعن طريق ما قام به من ترجمة المؤلفات الهندية من اللغة السنسكريتية إلي اللغة العربية، وكان بتعرفه الدقيق علي أصول الحكمة الهندية مباشرة في وصفها وفي لغتها وعلي أيدي علمائها الكبار، أقدر عالم استطاع أن يودع هذه النفائس

---

[١]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص٢٣.

[٢]- الباندیت pandits: المقصود بها العلماء الحكماء العارفون باللغة السنسكريتية. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ١٩٦.

[٣] البيرونى: المصدر نفسه، ص١٦

[٤]- بروكلمان: المرجع نفسه والجزء، ص١٢٦.

[٥]-البيرونى: المصدر نفسه، ص٩٦. محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، سوريا، دار المدى، ٢٠٠٠م، ص٥٢. ريسلر: الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٨م، ص١٨٣.

العلمية كتبه القيمة، فأخرج للمكتبة العربية إنذاك نتائج بحوث ونظريات تعد بداية عصر جديد للثقافة الإسلامية[١].

ويتضح من كتاب "تحقيق ما للهند" مدي المعاناة والصعوبات التي كان يلقاها "البيروني" في الترجمة، ومدي الدقة التى كان يتوخاها، ففى الكتاب الكثير من النصوص التى يتحدث فيها عن كيفية الترجمة وصعوباتها، وتبين لنا تلك النصوص مدي التحليل العميق الذي يجريه "البيروني" لعملية الترجمة تحليلًا داخليًا وخارجيًا يتصل باللغة وبنائها وتركيبها الداخلي[٢].

هناك أيضًا حركة ترجمة متبادلة بين اللغتين العربية والفارسية، تمثلت في ترجمة كتاب "كليلة ودمنة"[٣] من اللغة العربية إلي اللغة الفارسية، قام بتلك الترجمة "أبو المعالي نصر الله الغزنوي"[٤]، الذي اطلع علي ترجمة "ابن المقفع" العربية، وأعجب بها فقام بترجمتها وأتمها

---

[١]- التوانسى: أبو الريحان البيروني، ص٣٩.

[٢]- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٧، ١٨.

[٣]- كليلة ودمنة: من كتب اللغة السنسكريتية، اسمه القديم "كرتكادمنكا" ألفه الفيلسوف الهندي "بيديا" باسم الملك الهندي "دبشليم" ثم ترجم إلي اللغة البهلوية. الفارسية القديمة. وظل متداولًا في إيران بتلك اللغة حتي إندثار اللغة البهلوية عقب الفتح الإسلامي، فأقدم "ابن المقفع" علي ترجمته إلي العربية، وتلك الترجمة يرجع إليها الفضل في بقاء "كليلة ودمنة" والحفاظ عليها من الاندثار، فهى الأصل لكل الترجمات الموجودة حاليًا لهذا الكتاب الفريد الذي ترجم إلي معظم لغات العالم.(بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص١١٤)

[٤]- هو"أبو المعالي حميد الدين نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الغزنوي"، التحق بخدمة الدولة الغزنوية في عصر السلطان "بهرام شاه" (٥٤٧:٥١٢هـ / ١١١٨: ١١٥٢م) الذى شجعه علي إتمام الترجمة، وقد قدمها له "أبو المعالي" بعد إتمامها، وقد ترقي "أبو المعالي" في مناصب الدولة حتى وصل إلى الوزارة في عهد "خسرو ملك" (٥٥٥: ٥٨٢هـ /١١٨٦:١١٦٠م)، ولكن لم يطل مكثه بها لتدخل الوشاة بينه وبين "خسرو ملك" مما أدى إلى سجنه ثم قتله سنة (٥٥٥هـ /١١٦٠م).(على الشابى:الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٣٦١)

بعد سنة(٥٣٩هـ /١١٤٤م)، وقدمها إلي السلطان"بهرام شاه"(٥١٢: ٥٤٧هـ /١١١٨: ١١٥٢م)[١]، لذلك فهي تعرف باسم "كليلة ودمنة بهرامشاهي"[٢].

ونتيجة لنجاح "أبي المعالي" في ترجمتها حاول عدد كبير من الكتاب والشعراء كتابتها من جديد، ومع كثرة الترجمات والشروح التي حظيت بها الترجمة الفارسية لكتاب "كليلة ودمنة" فإن ترجمة "أبى المعالي" تعد أحسنها جميعًا وأكثرها تداولًا[٣]. ويرجع ذلك إلي أن أسلوب الترجمة الفارسي جاء من الأسلوب العربي، وكذلك لاهتمام "أبى المعالي" بالصور البلاغية والمحسنات اللفظية والمعنوية، وعدم التزامه بمجرد الترجمة بل أضاف إلي الترجمة العديد من مظاهر الاقتباس من الأشعار العربية والفارسية والحكم والأمثال وآيات القرآن الكريم كوسيلة منه لتجميل الأسلوب وتزيينه، لذلك كان لترجمته أثرها في إثراء كلا من الأدب العربي والفارسي[٤].

يتضح مما سبق أن حركة الترجمة من العوامل الهامة وراء الازدهار الثقافي لمدينة "غزنة"، فقد تم من خلالها انتشار جميع العلوم والآداب التي ترجمت من تراث الحضارات الأخرى، فمن خلالها انتقلت الفلسفة اليونانية للمسلمين[٥]، التى وجدوا فيها زادًا حكميًا وفلسفيًا مكنهم من معالجة قضاياهم معالجة عقلية منطقية تتفق مع عصرهم من حيث شرح العقائد الإسلامية والرد علي المبتدعة[٦].كذلك ساعدت الترجمة على حفظ تراث الإنسانية من الضياع، فلولا ترجمة ذلك التراث لأندثر تمامًا وتأخر تقدم البشرية لعدة

---

[١]-Arberry: Classical Persian Literature,p٢٤.

[٢]- استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٢٦٠.

[٣]- بديع محمد جمعة: المرجع نفسه، ص١١٦.

[٤]- ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد دوم، ص٩٥٠. استاد خليلي: المرجع نفسه، ص٣٥٤.

[٥]- أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص٧.

Gibb: Arabic Literature , London , ١٩٢٦,p٣٥.

[٦]- علي الشابى: مباحث في علم الكلام والفلسفة، بيروت، دار المدار الإسلامى، ٢٠٠٢م، ص٣٣.

قرون، ولكن ترجمته أخرجته من عالم النسيان وبعثت فيه روحًا جديدة وجعلته في متناول رواد المعرفة.

كما تكونت بفضل الترجمة في القرن الرابع الهجري مصطلحات علمية[١] غزيرة في الطب والكيمياء والفلسفة والمنطق وجميع العلوم التي ترجمت، واعتمد المترجمون في هذا المجال علي اللغة العربية أولًا، واستعملوا المجاز باستعارة ألفاظ ذات دلالات لغوية معروفة وشاءوا لها تأدية معاني جديدة، ولجأوا في بعض الأحيان إلي العلوم مستعملين بعض مصطلحاتها للتعبير عن المعاني الجديدة، وبذلك ظهرت بعض المعلومات المشتركة بين العلوم المختلفة عند المسلمين[٢].

وأدرك "البيروني" أهمية المصطلح العلمي ودوره في بناء المعرفة، فاهتم بمعرفة الكثير من اللغات التي ساعدته علي الإحاطة بالكثير من المصطلحات والمفاهيم في كل علم يخوض فيه، وقد لاحظ اختلاف اسم الشئ الواحد من لغة إلي لغة، لذلك اهتم بنقل أسماء الأحجار والمعادن ومختلف المواد في كتابه عن الجواهر بكل اللغات المعروفة فى ذلك الوقت[٣].

وأخيرًا فإن كل متتبع للدور الذي لعبته الترجمة في تاريخ الإسلام الحضاري والثقافي يجد أنها كونت جسرًا فعالًا من الحوار مع الحضارات السابقة علي الحضارة الإسلامية

---

[١]- المصطلح: هو اللفظ الذي يتفق عليه العلماء ليدلوا به علي شئ محدد ويميزوا به معاني الأشياء بعضها عن بعض، والمصطلح العلمي يتبع بالضرورة تقدم العلوم وازدهارها بما يصاحبه من اكتشافات واختراعات، فليس من شك في أن التقدم والتطور في مجال العلوم ينتج عنه أشياء جديدة تقتضي مسميات، فيضطلع العلماء علي تسميتها تسمية توائم بين المعني اللغوي والمعني الاصطلاحي الذي يختارونه. بركات محمد مراد:البيروني فيلسوفًا، ص٨٠.

[٢]- المرجع السابق، ص٨٠، ٨١.

[٣]- البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، تحقيق يوسف الهادى، شركة انتشارات علمى وفرهنكى، ١٩٩٥م،
ص١٠٤.

والحضارات اللاحقة لها، فالحوار الحضاري من أهم ركائز التعايش بين الأمم، ويتم بأشكال متعددة لعل الترجمة من أبرزها، ذلك أن الحضارة حوار ثقافي مستمر بين الأمم المتباينة الألسن، وأفضل أدوات التواصل هو اللسان الذي قال عنه البيروني: "إن اللسان مترجم للسامع عما يريده القائل في الوقت الراهن، فكيف يتيسر نقل الخبر من الماضي إلي المستقبل علي الألسنة مع تطاول الأزمنة؟ إنه لولا قوة النطق في الإنسان المبدع للخط الذي يسري في الأمكنة سريان الرياح وفي الأزمنة سريان الأرواح ما كان ذلك ممكنًا"[١].

منهج البحث العلمي[٢]

كان لعلماء الحضارة الإسلامية فضل السبق في اتباع الأساليب العلمية في أبحاثهم ودراستهم، بمعني آخر فهم واضعو أسس البحث العلمي بالمعني الحديث. فالعلم عبارة عن منهج وخطة بحث، ومنهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأي أمة من الأمم، فحيث توجد حضارة يوجد منهج، وشرط قيام العلم هو أن يكون هناك طريقة تُطوي تحتها شتات الوقائع والمفردات المبعثرة هنا وهناك، بهدف إيجاد روابط وعلاقات بين تلك

---

[١]- البيرونى: تحقيق ما للهند، ص ١١٩.علي بن إبراهيم أحمد النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ص١٦١.

[٢]-المعني الاشتقاقي لكلمة منهج هو مصدر بمعني طريق أو سلوك، وهو مشتق من الفعل نهج أو سلك، والمعني الاشتقاقي لكلمة علمي: منسوبة إلي العلم، وهو بمعني المعرفة والدراية والإدراك، والعلم يعني الإلمام بالحقيقة والمعرفة بكل ما يتصل بها. وعلي ذلك فالمنهج العلمي هو مجموعة من الوسائل التي يأخذ بها الباحث ليصل إلي نتائج سليمة من بحثه ويتصل بها إلي اكتساب العلم والمعرفة. أو هو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته والوصول إلي حلول لها أو إلي بعض النتائج. هناء فوزي عامر: منهج الأطباء العرب، الكويت، القاهرة، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م، ص١٠٩.(عبد الستار أبو غدة: رب زدني علمًا، منهجية العلم في الإسلام، ص١١٩.عبد الرحمن العيسوي: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، ١٩٩٧م، ص١٣)

المفردات والوصول إلي قوانين تحكم تلك المفردات[١]. وقد خدمت المنهجية التي أرسي قواعدها علماء الإسلام العلم[٢].

وللطريقة العلمية مقدماتها الفكرية والإيمانية التي كان وجودها شرطًا ضروريًا للتوصل إليها والالتزام بها، ولم تكن هذه المقدمات متوافرة لأية حضارة سابقة أو لاحقة للحضارة الإسلامية، بل كان من حتميات تاريخ العلم أن تجئ الطريقة من المسلمين علي وجه الخصوص، لأن الإسلام ذلك الدين الذى يعلي قيمة "الحيدة" ويثبت الأمانة والنزاهة، ولأن العلم الذي دعا إليه الإسلام جاء للفكر والقلب وللعقل والضمير، وأيضًا العلم الذى خاض تجربة تنقية التراث من خلال تمحيص صحة الأحاديث النبوية الشريفة وترتيبها طبقًا لموثقيتها، لذلك فإن تجربة تنقية السنة الشريفة أرست الشك العلمي ومنهج التحري عن الحقيقة [٣].

لذلك فقد تقيد علماء الإسلام بطرق البحث العلمي، فحين اشتغلوا بالعلوم النقلية ابتدعوا الأساليب التي تضمن سلامة النص وفهمه كما هو واضح في علوم القرآن وعلوم الحديث، وحين اشتغلوا بالعلوم العقلية لم يكتفوا بقراءة الترجمات التي نقلوها بل تعاملوا معها علي منهج علمي يقوم علي التجربة والمشاهدة والقياس وغير ذلك[٤].

وعلي ذلك فهناك العديد من المناهج العلمية التي استخدمها العلماء في أبحاثهم ومنها المنهج التجريبي والذي يعد من أهم المناهج العلمية، فقد جعله المسلمون سبيلًا أساسيًا للتوصل للمعارف العلمية، لذلك غلب عليهم المنهج التجريبي فكانوا يجرون تجاربهم في مسائل لم تكن تخطر علي بال من سبقوهم، لأنهم اعتبروا أن المنهج التجريبي هو منهج الإسلام، والذي دفعهم إلي ذلك هو القرآن الكريم الذي طالب بالحجة التي تقوم علي

---

[١] - مصطفي لبيب عبد الغني: الكيمياء عند العرب، القاهرة، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧م، ص٣١.

[٢] - عبد الستار أبو غدة: رب زدني علمًا، منهجية العلم في الإسلام، ص ١١٩.

[٣] - محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب، ص٣٠.

[٤] - حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٧٨.

البرهان للوصول إلي النتائج الصحيحة، تلك النتائج التي تقوم علي الاستقراء والمقارنة والتمحيص.يقول تعالى: ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُواْ بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾.[١]وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن المخلوقات ثم تأمر الإنسان بالنظر والتدبر فيها ومعرفة أسرارها وتسخيرها بما يعود بالنفع للإنسان[٢]. وهذه الأمثلة دفعت الإنسان للتفكير في تسخير قوي الطبيعة وثرواتها لخدمة الإنسان، مصداقًا لقوله تعالي: ﴿وتِلكَ الأَمثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ذلك كله دفع المسلمين إلي الملاحظة والتأمل وإجراء التجارب، فالتجربة العلمية عندهم هي الأساس العلمي السليم التي تصنع المعرفة، وكان اقتناعهم بأن الأسلوب العقلي المنطقي لا يكفي للنهوض بالعلوم الطبيعية، بل لابد من إجراء التجارب وتسجيل المشاهدات والملاحظات وتجميع البيانات والقرائن[٤].وذلك مع مراعاة الدقة المتناهية، وقد أدي ذلك لوصولهم إلي نظريات واكتشافات جديدة[٥].

أثرعلماء الإسلام بطريق غير مباشر علي مفكري وعلماء الغرب، الذين شهدوا بسبق علماء الإسلام إلي ابتداع المنهج التجريبي السليم بكل خطواته ومراحله، يقول "دونالدر.هيل" في ذلك "كل ما وصل إلينا من التراث العلمي والتقنى للحضارة الإسلامية يؤكد سبق علمائها إلي إرساء أصول مناهج البحث العلمي السليم، ويسجل فضل هؤلاء العلماء في إثراء المعارف العلمية والتقنية، ودفع عجلتها قدمًا نحو التقدم والازدهار. فقد طوروا بتجاربهم وأبحاثهم العلمية ما أخذوه عن الحضارات الأخري من

---

[١]- البقرة: (١١١)

[٢]- عبد الله المشوخى: موقف الإسلام والكنيسة من العلم، ص٢١. سمية بنت حسن إبراهيم: منزلة العلم في الإسلام، ص٨٧.

[٣]- الحشر: (٢١)

[٤]- مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة اليونسكو: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص١٩٢.

[٥]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٤٢.

مادة علمية شكلوها تشكيلًا جديداً، ولهذا نراهم أحرزوا تقدمًا ملحوظًا في كثير من العلوم الطبيعية لم يحرزها غيرهم" [١]. وعلي هذا الأساس العلمي سار العلماء المسلمون في العلوم الطبيعية شوطًا كبيرًا[٢]. وقد حاولت إيضاح ذلك لكل علم علي حدة خلال فصول الرسالة.

من أعظم رواد ذلك المنهج العلمي في مدينة غزنة "أبو الريحان البيروني" الذي يعد من أوائل علماء المسلمين الذين اتخذوا البحث والتجربة وسيلة إلي تحصيل المعارف، فكان ممن لا يؤمنون بقاعدة اعتناق الآراء المسلم بها دون تمحيص أو تحقيق، وكان يصر علي ضرورة مراقبة الأمور، فكان يمتحن الأشياء بعقله ويبحث عنها ويخضعها لألوان من التجربة، لذلك تميزت دراسته في مختلف المجالات بأنها دراسة تجريبية تقوم علي أسس ثابتة من البحث والاستقصاء والتجربة الشخصية، فلم يكن يعتمد علي أعمال من سبقوه اعتمادًا كليًا بل كان يحقق بنفسه كل معلومة وكل ظاهرة ويضعها موضع التجربة[٣].

فشخصية البيروني شخصية ترفض التقليد وعقليته غير قابلة للتسخير، سار في منهجه العلمي علي أساس أن العلم اليقيني لا يحدث إلا من إحساسات يؤلف بينها العقل علي

---

[١]. دونالدر.هيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، الكويت، عالم المعرفة، ٢٠٠٤م، ص٩.

[٢]- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى، بيروت، ، دار الجيل، (د.ت)، ص٤٠٦. (إن منهاج المسلمين العلمى قام على التجربة والترصد، أما مجرد درس الكتب والإقتصار على تكرر رأى المعلم، فهو ما سارت عليه أوروبا فى القرون الوسطى، والفرق بين النهجين واضح ولا يمكن تقدير قيمة المسلمين العلمية الا بإظهار هذا الفرق)

[٣]- أحمد مدحت إسلام: علماء العرب والمسلمين وإنجازاتهم العلمية فى بناء الحضارة الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٩م، ص١٠٩. زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية والإسلامية فى العلوم الأساسية والتطبيقية، ج٢، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٦م، ص٢٣٧.

نمط منطقي ويجردها في كليات، فالاستقراء والتجربة والتجريد الذهنى هى دعائم بحوثه وهي وسيلته إلي المعرفة الحقيقية [١].

كذلك كان كيانه العقلي مطبوعًا علي استبعاد الآراء والتفاسير الخرافية والأسطورية، مما جعله يرفض أفكارًا شائعة. حتى بين العلماء أنفسهم. مثل فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة، كما رفض الخرافة الشائعة التى تقول بأن أعين الأفاعى تسيل حين يقع بصرها على الزمرد، وقد غلبته طبيعته العلمية التجريبية وجعلته يلجأ إلى التجربة ليختبر تلك المقولة، فقام بتطويق الأفاعي بقلائد من الزمرد وفرش سلالها به وراح يحركه أمام أعينها، وهو يقول عن النتيجة في شئ من التهكم " لم يبق إلا تكحيلها به، فما أثر في عينها شيئًا أصلًا إن لم يكن زادها حدة بصر"[٢]. وهذه الدويبة المعروفة "بأم الأربعة والأربعين" لم يتأكد أحد من معاصريه من عدد أرجلها، أما "البيروني" فقد فعل ذلك، إذ يقول "عددت أرجل واحدة منها فكانت مائتين وأربعين رجلًا". وهو بذلك يدعو إلي الاستقصاء في البحث ويحذرنا مما سماه كلام التقليد[٣]. وقد ظلت هذه الروح العلمية تسرى فى كتاباته حتى سن متأخرة بعد السبعين حين وضع مؤلفه "الجماهر فى معرفة الجواهر"والذى خالف فيه تماما ما هو مألوف فى كتب التعدين عند المسلمين، وتجاهل كلية وجود أية خواص سحرية للأحجار.

وفى كتابه"القانون المسعودى" يعتمد كثيرًا على المنهج الحسى، فهو يلاحظ القمر والشمس وسائر الكواكب ويستعمل حرفيًا لفظى"الحس"و"المشاهد"، فعالمنا متشبث بهذا المنهج أيما تشبث فهو يلاحظ ويرصد باستمرار معتمدًا فى ذلك على آلات دقيقة كرصده لخط النهار بواسطة آلة دقيقة اسمها "المقياس" أو كرصده للكواكب مستعملًا فى

---

[١]-على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٣٠٧: ٣١٠.

[٢]- محمد غريب جودة:عباقرة علماء الحضارة العربية في العلوم الطبيعية والطب، ص١٦٠.على الشابي: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٣١٢.

[٣]- التوانسي: أبو الريحان البيرونى، ص٣٥.

ذلك آلات دقيقة أيضًا. وخلاصة القول أن المنهج الحسى لدى البيرونى هو منهج هادف ويتميز بالنفعية [١].

هذا وإن كل جهد يبذل فى إجراء التجارب وكل وقت يصرف في التفكير والتأليف والعرض. مهما كبر ذلك الجهد أو الوقت. ليس ضائعًا، بل هو جهد موفور، لأنه سيحفظ جهود أخري ستكرر وقتًا سيضيع، لو لم يجد الإنسان أمامه أصولًا منهجية يستفيد منها في بحثه لأن تلك المنهجية إنما هي تعبير لسبل البحث الوعرة المجهولة [٢].و"البيروني"أدرك حين كان يبتكر ويؤلف ويحلل وينقد مدي جهده الذى أفاد به الثقافة الإسلامية، وحقًا ما قال:.

بجهد شأوت البالغين أئمـــة ... فما اقتبسوا في العلم مثل اقتباســـيا
فما بركوا للبحث عند معـــالم ... ولا احتبسوا في عقيدة كاحتباســـيا
فسائل بمقداري هنودًا بمشرق ... ولا بالغرب من قد قاس مثل قياسيا[٣]

هذا وقد اكسب اعتماد "البيروني" وغيره من علماء مدينة "غزنة" علي التجربة مؤلفاتهم دقة وإبداعًا وإقبالًا، بحيث لا ينتظر مثل ذلك من باحث تعود درس الحوادث في الكتب فقط.

مما سبق يتضح جليًا أن المنهج العلمي الذي اتبعه علماء مدينة "غزنة" كان له أبعد الأثر في التقدم العلمي الذي يجني العالم ثماره الآن بعد الإضافة إليه وتطويره، وذلك لأنهم وجهوا البحث إلي الوجهة الصحيحة من حيث إقامته على التجارب والاختبارات واستقراء النظريات، وما إلي ذلك من خطوات كانت تشكل في مجموعها تحولًا عظيمًا في

---

[١]- عبد القادر بشته: المنهج العلمى فى الإسلام (البيرونى وابن رشد نموذجًا)، تونس، دار المعارف، ص١٦:٢٢.

[٢]- عبد الستار أبو غدة: رب زدني علمًا، منهجية العلم في الإسلام، ص١١٩.

[٣]- علي الشابى: المرجع نفسه، ص٣٠٣.

تاريخ العلم، فقد استوعب الغرب تراثهم وتأثر باتجاههم التجريبي الذى كان نواة لتطور العلم والتكنولوجيا فى العصر الحديث.

الموسوعية

إذا نظرنا إلى علماء مدينة "غزنة" في تلك الفترة نجد أن نظام الموسوعية هو الغالب عليهم، فكان الواحد منهم في حد ذاته موسوعة علمية متكاملة، هذا علي الرغم من احترامهم لنظام التخصص، إلا أنهم أطلقوا لعقولهم العنان تسبح في بحور العلم وتسرح في مروج المعرفة، حيث اهتم هؤلاء العلماء بالتوغل في المعارف الكونية، والجمع بين التعمق الفقهي والتخصص الشرعي وبين التضلع في الأمور الكونية، حتي أننا لنجد هؤلاء الموسوعيين ملأوا الدنيا علما، وأثروها بمؤلفاتهم فى شتى فروع العلم والبحث[١].

وما يلفت النظر إلي عظمة هؤلاء العلماء هو غزارة الإنتاج العلمي لديهم، فكان لكل واحد منهم عشرات بل مئات المؤلفات في مختلف المجالات، فنجد العالم منهم يكتب في الفقه والتفسير والفلسفة بجانب كتابته في الطب والكيمياء والرياضيات، فمن أين أتوا بكل هذه الطاقة والقدرة لصياغة تلك المؤلفات ؟! وكيف اتسعت حياة العالم منهم للإحاطة بهذا الكم الهائل من المعرفة ؟!

ربما يرجع ذلك إلي الدين الإسلامى، حيث كان الاتجاه السائد فيه هو تشجيع تنوع العلوم التي يجب دراستها[٢]. كما كانوا علي درجة عالية من الإخلاص العلمي والإصرار علي تلقي المعرفة والحرص علي تحصيل العلوم من شتي مصادرها، وكان الإيمان رائدهم، تغذيهم التقوي وتمدهم بقوة خارقة تعينهم علي التفانى فى سبيل العلم وإخراج لآلئ منه

---

[١] – كارم السيد غنيم: ملامح من حضارتنا العلمية وأعلامها المسلمين، ص٩٠.

[٢] – جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٩٨.

للناس على مر الأزمان[١].كما أنهم أدركوا أن تكامل شخصية المسلم رهن بتكامل معرفته وبالتنوع في جوانب حضارته، فالعلوم عندهم كلها ثمرات من شجرة واحدة، يجب تذوق كل هذه الثمرات فى آن واحد[٢].

ذلك كله كان دافعًا لهم لتنويع معارفهم تنويعًا واسعًا، فلم يكتفوا بالاختلاف إلي حلقة واحدة من حلقات العلم، بل ترددوا علي جميع الحلقات آخذين بطرف من كل نوع من أنواع المعرفة[٣]، فتميزوا جميعًا فيما يمكن أن نسميه بالثقافة العامة، وبالرغم من أن التخصص الدقيق يعد أمرًا مطلوبًا في العلم، إلا إن الثقافة الواسعة مطلوبة هى الأخرى، فلم يكن العَالِم عالمًا بمعني الكلمة إلا إذا كان واسع الاطلاع تشمل دائرة معارفه أكثر من مجال[٤]. لذلك وجب على كل طالب علم ألا يدع فنًا من فنون العلم أو نوعًا من أنواعه، فالعلوم كلها مترابطة بعضها ببعض، وقيل فى ذلك:.

أحرص علي جمع العلوم مجاهدًا	**ولا تموتن بعلم واحد كسلا**
النحلة لما رعت من كل فاكهة	**أبدت لنا الجوهرين الشمع والعسلا**
الشمع في الليل نور يستضاء به	**والشهد يبرى بإذن البارى العللا[٥]**

ومن أهم علماء مدينة "غزنة"الموسوعيين"أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني" الفقيه المتكلم، من أتباع المذهب الأشعرى(ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)[٦]كان معلمًا

---

[١]- قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ط ٣، القاهرة، دارالقلم، ١٩٦٣م، ص١٣٩. كارم السيد غنيم: المرجع نفسه والصفحة.

[٢]- محمد حسين هيكل: إسلاميات، لندن، مودى جرافيك للنشر، ص٢، ٣.

[٣]- عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، القاهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٢م، ص١٩. شوقى ضيف: عالمية الإسلام، ص٦٢.

[٤]- أحمد مدحت إسلام: علماء العرب و المسلمين، ص١١.

[٥]- طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص٢٥.

[٦]- السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص١٢٩. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٤٠.

للأدب والفلسفة، وكان ذو ثقافة موسوعية، فتنوعت علومه وتعددت فنونه، فهو إمامًا في الفقه وعالمًا بالأصول، ومتبحرًا في علم الكلام، وضليعًا في الوعظ وخبيرًا بالنحو، وعارفًا بالأدب[١].

"أبو المكارم أحمشاذ بن عبد السلام بن محمود الغزنوى الحنفى"(ت٥٥٢هـ /١١٥٧م)، أحد فحول العلماء، عده علماء عصره بحر يتموج وفجر يتبلج، كان مفسرًا وواعظًا وعارفًا بالتوحيد والمسائل الخلافية[٢]. وأيضًا "غالي بن إبراهيم ناصر الدين" الملقب بتاج الشريعة ونظام الإسلام الغزنوى(ت٥٨٢هـ/١١٨٦م) كان إمامًا في التفسير والفقه والأصول والجدل[٣].

ويعد"أبو الريحان البيروني" من أعظم العلماء الموسوعيين في مدينة غزنة، كان عقلًا متبحرًا ومبدعًا متسمًا بالموسوعية، تخصص في الكثير من العلوم[٤]، وصنف فيها حتي وصلت مؤلفاته حوالي مائة وستة وسبعين كتابا، تناول فيها الرياضيات والفلك والتاريخ والكيمياء وغيرها من العلوم، كتب في التاريخ بعقلية رياضية، وتناول الفلك بروح المُطَلع علي تاريخه وتطوره، وألف في الجغرافيا علي ضوء تجاربه المتكررة، كذلك كتب فى الطب والصيدلة والطبيعيات والتقاويم وتاريخ الأديان والمعتقدات والمذاهب والتنجيم، فلم يُقِم حواجز بين العلوم المختلفة[٥].كما أنه لم يتخل في ذات الوقت عن الدقة والعمق فى

---

[١]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٨٣: ١٨٨.

[٢]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص٣٣٩. عماد الدين الصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٣٧. القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص٣٥٩. الصفدى: الوافى بالوفيات ،ج٨، ص١٠٢.

[٣]- ابن قطلوبغا: تاج التراجم فى طبقات الحنفية، بغداد، مطبعة العانى، ١٩٦٢م، ص٤٩.الصفدى: المصدر نفسه، ج١٦، ص٣٢٧. على أكبر دهخدا: لغت نامة، شماره، طهران، سال ١٣٣٥ خورشيدى، ج٢٧، ص٢١٤.

[٤]- على الشابى: الأدب الفارسي فى العصر الغزنوى، ص٢٩٦. ريسلر: الحضارة العربية، ص١٨٣.

[٥]-على الشابى: المرجع نفسه، ص٣٠٤.

كل علم ومبحث اشتغل وأنتج فيه [١] فقضى جل عمره في الدراسة والكتابة وفى البحث والتأليف، وبذلك يمكن اعتباره مثالاً يحتذى به فى الجد والاجتهاد والمثابرة وقوة الإرادة. وهناك العديد من الأمثلة علي علماء "غزنة" الموسوعيين والذين كان لهم إسهاماتهم فى مضمار المعرفة الإنسانية وسيتم الحديث عنهم فى حينه.

[١] – محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية، ص١٥٢.

التسامح الديني و حرية الرأي

➢ التسامح الديني

قامت الحضارة الإسلامية علي أساس من السماحة الدينية واحترامها لكل الأديان الأخري، واعترافها بحق أصحابها في أن يمارسوا طقوسهم الدينية كما يريدون، فالحرية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير في تاريخ العلم، ولم يحدث أن أنفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام[١]. وأكبر دليل وأعمق تقدير لقيمة الحرية الدينية قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٢].

هذا التسامح الديني ساعد علي جمع مظاهر الحضارات القديمة لتكون بداية للحضارة الإسلامية، فقد أحدث الإسلام امتزاجًا قويًا بين المسلمين وغيرهم، وحدث نوع من التعايش الفكرى بينهم، لذلك قدم أهل البلاد المفتوحة للمسلمين كل ما يملكون من كنوز العلوم وذخائر الفلسفة بمنتهي الصدق والإخلاص، لا يكتمون منه شيئًا، لأنهم شعروا تجاه المسلمين وحكامهم بأخوة كريمة حتي نراهم يسرعون بالاستجابة إلى رغبة إخوانهم المسلمين في التعرف علي العلوم كلها.

كما أن حضارات تلك الشعوب كانت معرضة للاندثار، ولم يعد بالإمكان وقف انهيارها خاصة وقد عمل رجال الدين والكهنة المسيحيون على مقاومة تلك الحضارات غير المسيحية، ولولا ما قام به المسلمون من إحياء لذلك التراث لأدركت تلك الحضارات نهايتها الحتمية، ولولا طابع التسامح الديني الذي ظهر في تلك الآونة ما أخذت تلك العلوم طريقها إلي النور[٣].

ضرب سلاطين الدولة الغزنوية أمثلة كثيرة بتقريبهم العلماء والمفكرين من كل الأجناس والملل، من غير تمييز بين دين وآخر، "فابن الخمَّار" المسيحي الديانة عاش في

---

[١]- عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين علي الحضارة الأوربية، ص٢٨٤.

[٢]- الكهف: (٢٩)

[٣]- رشيد الجميلي: حركة الترجمة، ص٣٢٦.

مدينة "غزنة" إلي أن توفي بها، وكان علي صلة طيبة بالسلطان "محمود الغزنوى"، فكان طبيبه الخاص، وقد عرض السلطان "محمود" عليه الإسلام فأبى، ولكنه لم يصبه أذي من جراء رفضه دخول الإسلام حتي هداه الله إليه بدراسته للعقيدة الإسلامية بدون أي ضغط خارجي عليه. كما كان "ابن الخمار" علي صلة طيبة بعلماء مدينة"غزنة"[١]، لذلك يعتبر "ابن الخمار" نموذجًا لاتفاق المفكرين من الديانات المختلفة في العديد من الآراء، وذلك نتيجة للمعايشة السلمية في المجال الفكري بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى.

إن هؤلاء العلماء من غير المسلمين ـ يهود أو نصارى ـ كانوا جزءا من الحضارة الإسلامية، لأنهم نبغوا فى ظل الحكم الإسلامى ونشأوا بين أحضان مجتمع إسلامى يؤمن بحرية العقيدة وبالمساواة، ولولا ما وفره الإسلام لهؤلاء الذميين من حرية وتسامح لما تهيأ لهم المناخ المناسب الذى جعل منهم علماء بارزين.

اتسم علماء "غزنة" بالتسامح الديني، فلم يأنفوا من التعلم من علماء الأديان المخالفة للإسلام، ومن ذلك حرص "البيرونى" علي التعلم من أستاذه الكبير" أبى سهل المسيحى"وهو طبيب فلكى مسيحى يعتبره الكثيرون أستاذ "ابن سينا"فى الطب، فقد تأثر البيرونى إلى حد كبير بهذا العالم الجليل وخاصةً فى تلك النواحى الحسية من المنهج العلمي الذى برع فيه البيرونى، وخاصة جانب الاختبار والتجريب والذى كان يمارس على نطاق واسع فى النواحى الطبية [٢].

أما تلمذته على مفكرى اليونان والهنود فنجدها واضحة فى كل رسالة أو مؤَّلف له، حيث أورد العديد من أسمائهم فى كتبه، ورجع فى الكثير من المسائل العلمية التى تعرض لها إلى المفكرين والفلاسفة الهنود واليونان بغض النظر عن انتمائاتهم الدينية والمذهبية، ومن هؤلاء المفكرين أفلاطون، وأرسطو، وأرشميدس.

---

[١]- إبراهيم تركي: ابن الخمار فيلسوف من القرن الرابع الهجرى، ص٣٧.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٣٥٢.

[٢].بركات محمد مراد: البيرونى فيلسوفا، ص١٢

ويتضح تسامحه الدينى وعدم تعصبه من خلال كتابه "تحقيق ما للهند " فهذا الكتاب ذو طابع فريد بين الكتب الإسلامية، لما اتسم به من الموضوعية وعدم التحيز الدينى، فلم يمنعه إسلامه من تقدير الفلاسفة البوذيين واستحسان الكثير من نظرياتهم فى العلوم المختلفة، وقد بلغ من انصافه وعدم تحيزه أن اعتبره كثير من المسلمين مغاليا، فالقارئ حين يقرأ كثير من صفحاته فى تمجيد هؤلاء ونظرياتهم لا يلحظ أنه مسلم[١].

كل ما سبق يعني أن الدين لم يكن عائقًا في سبيل المعرفة، وأن العلماء المسلمين استطاعوا احتواء فكر غير المسلمين دون أن يتسم ذلك الفكر بالاختلاف، وهذا يعني أنهم كانوا علي درجة عالية من التفتح الأمر الذي يعد مظهرًا من مظاهر قوة وازدهار الثقافة الإسلامية.

➢ حرية الرأى[٢]

جاءت التعاليم الإسلامية تشرع لحرية الرأى لا على أساس أنها حق مباح من حقوق المسلم فحسب بل لأنها مقصد ضرورى من مقاصد الشريعة، فالإسلام الذى أرسى

---

[١]- عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم:الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامى، ص١٥. بركات محمد مراد: البيرونى فيلسوفا، ص١٣.

[٢]-المقصود بالحرية هنا هى حرية الإنسان في طرق النظر العقلي وأساليبه دون أن تفرض عليه من الآخرين معطيات وأدوات من شأنها أن تؤدي به إلي الخطأ، أو يلزم بسلوك طرق معينة من شأنها أن توصله إلي نتيجة مبتغاة سلفًا حقًا كانت أو باطلًا، فإذا كان شئ من ذلك فإنه يعتبر وجهًا من وجوه السلب لحرية الرأي لما فيه من توجيه مسبق من الآخرين إلي رأي معين قد لا يصل إليه الناظر لو ترك حرًا في النظر، بل قد يصل إلي ضده. كما أنها أيضًا حرية الإنسان في الإعلان عن الرأى الذى توصل إليه بالنظر والبحث، وإشاعته بين الناس والمدافعة عنه والإقناع به، ولعل هذا هو الوجه الأهم في حرية الرأى. ومن ثم فإن الحرية فيه تعني أن يكون طريقه إلي الناس معبدًا بإنعدام كل العقبات التي تعيق التعبير عنه من قبل صاحبه أو سيرورته بين الآخرين، أو وسائل دعمه والإقناع به، وإن وقع شئ من ذلك فهو يعتبر تقييدًا لحرية الرأى.(عبد المجيد النجار: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، الولايات المتحدة، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٢م، ص٤٣)

دعائم حقوق الإنسان هو أول من دعا إلى حرية الفكر وحرية الرأى. فالدعوة الإسلامية قامت علي أساس الحرية، فنجد في القرآن الكريم تشريع لحرية الرأي تضمنه قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيتَ الَّذِي يَنهَي عَبدًا إِذَا صَلَّي، أَرَأَيتَ إِن كَانَ عَلَي الهُدَي، أَوأَمَرَ بِالتَّقوَي﴾[١]. فالإسلام إذن وهو دين الفكر والعقل والعلم جاءت دعوته في جوهرها دعوة إلى الحرية وعدم الإكراه فى أى شيئًا كان، لأنه يقدر الرشد الفكرى واليقظة العقلية التى تمكن الإنسان من التقدم والازدهار.

على ذلك فقد منح الإسلام كل فرد الحق فى إبداء رأيه بأى طريق شاء، وجعل من إظهار صفات المؤمنين الجهر بما يرون من الحق دون خوف [٢]، لذلك نجد العلماء المسلمين وبدافع من دينهم الحنيف وقرآنهم المجيد قد تحرروا من الموجهات الذاتية التي توجه عقولهم إلي النتائج المسبقة مثل موروث العادة والتقليد دون النظر والتمحيص، وتحرروا أيضًا من الموجهات الخارجية التي تفرض عليهم معطيات معينة أو أسلوبًا معينًا في البحث، لذلك انطلقوا بغير حدود يجمعون من المعطيات المختلفة كل ما من شأنه أن ينير سبيل الحق، ويتخذوا من الطرق والأساليب كل ما من شأنه أن يوصل إلى العلم، فالعلم لا ينمو إلا فى إطار الحرية.

فإذا ما أتيحت فرص الإعلان عن الرأى فإن ذلك سيكون من شأنه أن يحدث مناخًا حواريًا تتقابل فيه الآراء وتتصارع فيه الحجج، فتنكشف المعطيات والطرق التي كانت مستورة بستار الغفلة أو محجوبة بسبب من الأسباب، فيضاف ذلك كله إلي ما جمعه العقل واعتمد عليه في النظر، وربما أدي ذلك إلي تعديل نتيجة الأبحاث وربما أدي وضع نظريات جديدة في مقابل ذلك [٣]، وبالتأمل الجيد فى التاريخ الفكرى للمسلمين يتبين أنه كلما

---

[١]- العلق: (٩: ١٢)

[٢]- عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، ص٢٨٢.

[٣]- عبد المجيد النجار: دور حرية الرأى فى الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص٤٩.

تقيدت حرية الرأى في زمان أو مكان أو بين فئة معينة أفضي ذلك إلي ضيق خانق في مساحة المعطيات والسبل التي تتأسس عليها المعارف والأحكام[١].

ترتب على ذلك أن أصبح لكل فرد الحق في تقرير ما يراه بصدد ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والإنسان، واعتناق ما يقتنع بصحته من قوانين الطبيعة، كذلك إذا رجعنا إلي الأدب شعره ونثره وإلي الفنون التي ازدهرت على أيدى المسلمين الذين عاشوا في المدن الإسلامية لرأينا نهضة في التفكير، فلم يكن لمدينة أن تزدهر ازدهارًا حقيقيًا في غير ظلال الحرية العقلية[٢]. ومن الجدير بالذكر أنه إذا كانت الحرية قد تركت مطلقة في مجال العلوم العقلية والفقهية، إلا أنها إذا تطرقت لمجال العقائد فنلاحظ تدخل الحكام ووقوع العقاب علي من يجرؤ علي ذلك[٣].

وقد غلب علي الدولة الغزنوية فتح أبواب الفكر لكل من يلجها، فتركت الحريات في التأليف والرد علي المؤلفين، وبدا هذا واضحًا في كثرة المؤلفات التي دونت في بلاط سلاطين الدولة الغزنوية، وفي ازدهار العلوم ازدهارًا سريعًا، حتي صارت فترة حكمهم من أزهي الفترات العلمية في التاريخ الإسلامي، وذلك لتوفير الحرية الفكرية والحرية القلمية، والتى كانت مقيدة في أماكن أخري وعوقب أصحابها بالموت[٤].

في هذا الجو من الحريات تم ترسيخ تقاليد المناقشة والمواجهة، وتم إشاعة روح التواصل الحضاري، فنشأ نوع من الحوار الداخلي بين الفرق والمذاهب الإسلامية، والخارجي مع أهل الثقافات والأديان الأخري، فحدث نوع من تبادل الخبرات والتجارب، ذلك ما صاغ عقول المسلمين على وجه العموم علي هيئة من النفاذ إلى العلل

---

[١]- المرجع السابق، ص٥٢.

[٢]- محمد حسين هيكل: إسلاميات، ص١٤، ١٥.

[٣]- حسن جبر: أسس الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٨٣.

[٤]- في نفس الوقت كانت أوربا في ظلام دامس، وكان رجال الدين المسيحى وقتئذٍ يحاكمون العلماء، ويضطهدون كل صاحب رأي جديد، بل وصل الأمر إلي محاكمة وتعذيب بل وقتل كل من يتبني آراءً أو أفكارًا تخالف آراءهم أو أفكارهم. عبد الله المشوخى: موقف الإسلام والكنيسة من العلم، ص١٣٨.

والأسباب المشتركة للظواهر المختلفة، ومن المؤالفة بين المنجزات الفكرية والعملية لتوجيهها نحو خدمة الدين وهي الغاية الموحدة. وقد بدا ذلك جليًا في مجال العلوم علي سبيل المثال فى ابتداع علوم عديدة مثل علم أصول الفقه وعلم النقد الشعرى[١].

كذلك كان لحرية الرأى التي شاعت بين المسلمين سببًا في تربية العقلية الإسلامية علي صفة من النقدية التي ظهرت جلية في التراث الفقهي والتراث المذهبي والتراث الفلسفي، حيث كانت الرؤي والأحكام فيها تصدر عن مقارنات واسعة في مناخ من الحوار الحر. كما أنها أوجدت الصفات المنهجية المشتركة بين المسلمين وبعضهم البعض، تلك الصفات التي أثمرت وحدة فكرية بينهم، ومن خلال تلك الوحدة صيغت الحياة الإسلامية بأكملها في وجهها النظري المتمثل في العلوم، وفي وجهها العملي المتمثل في الوجوه الحضارية العملية المختلفة فظلت بذلك كالرابطة التي تربط العالم الإسلامي ببعضه [٢].

وعلي النقيض ففي الفترات التي جمدت فيها حرية الرأي التي آل فيها الأمر إلي التعصب المذهبي الرافض للرأي المقابل، وضاقت حرية الاجتهاد وتجمدت أحيانًا، وجهت سلطة الدولة الفكر توجيهًا مذهبيًا ينطوي علي الحجر علي سائر المذاهب والبقاء علي مذهب واحد، تولد عن ذلك الفرقة والجمود، لأن حرية الرأي كلما توفرت بين المسلمين أثمرت الوحدة، وكلما غابت أو ضعفت أثمرت الفرقة، لأن الاختلاف هو التعدد وهو الحياة، وممارسة الرأي الحر مع الالتزام بالقيم والثوابت مقدرة لها وزنها، وتقبل الرأي الآخر ثقافة لها قدرها.

ثروات بلاد الهند

امتد الغزنويون بدولتهم إلي مختلف أجزاء الهند التي اشتهرت بكثرة ثرواتها وأصنامها الذهبية والفضية[٣]، كما اشتهرت بكثرة مناجم الذهب الخالص[١]، ترتب علي ذلك أن أقام

---

[١]- عبد المجيد النجار: المرجع نفسه، ص٥٥.

[٢]- عبد المجيد النجار: دور حرية الرأى فى الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص٦١: ٦٥ .

[٣]- عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص١٧٧.

الغزنويون دولتهم في مدينة "غزنة"علي وافر من الثراء والترف والذى أغرق المدينة وجعلها من أغنى دول الشرق آنذاك[٢].تلك الثروات أودعها السلطان "محمود" فى العديد من القلاع والأماكن المختلفة ومنها قلعة منديش، وباى لامان، ومرنج، وبيان كوت[٣].

أخذت تلك الثروات التي غنمها سلاطين"غزنة"صورًا ثلاث إما غنائم فتوحاتهم الكثيرة في الهند، وإما هدايا متنوعة من حكامها، وإما جزية ترسل إلي خزانة "غزنة" سنويًا مقابل عقد صلح بين الطرفين، وتفصيل تلك الثروات كالتالى:.

أ – غنائم الفتوحات

نتج عن غزو الأمير"سبكتكين"(٣٦٦: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧:٩٧٦م) للهند هزيمته لحاكمها "جيبال"واستيلائه علي غنائم لا تحصي من الأسرى والأفيال والأموال[٤].أما ابنه السلطان "محمود"(٣٨٨:٤٢١هـ /١٠٣٠:٩٩٨م)فحقق انتصارات باهرة وفتوحات لم يسبقه إليها غيره، فكل غزوة غزاها رجع إلي عاصمة ملكه علي جبينه أكليل النصر، وبين يديه غنائم وافرة، حتي امتلأت خزائنه بالذهب والفضة والجواهر الثمينة [٥]، والتي أسهب في وصفها

Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids,p٣٧.

[١]– ميرخواند: روضة الصفا، ص١٥٤.

[٢]– ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٤٧. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٣٨٧. ذبيح الله صفا: خلاصة تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران تا بايان عهد صفوى، طهران، (د.ت)، ص١٥٥.

Donald Wilber:Iran Past and Present ,p٤١.

[٣]– طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان عصره وبيئته وشعره، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٨م، ص١٠٩.

[٤]–النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٣٢. محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص٢٠. الهروى: طبقات أكبري، ج١، ص٢٥. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص ١٠. أحمد على كهزاد: تاريخ أفغانستان، جلد دوم، ٥٦٧.

[٥]–اسفزارى:روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات، ص٣٦٤.عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٨٢.عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، ج٣، ص٣٣.

كلًا من العتبي والبيروني، فإلي جانب نفاستها لا يكاد يحصرها الخيال، وقد قال السلطان "محمود" نفسه حين أخبره المنجمون بما تبقي له من عمره "إن قلاعي مشحونة بالأموال بما لو قسم علي أيام تلك السنة ما أخل بها انفاق مرتب أو مسرف فيه"[١].

ومن تلك الغزوات والتى غنم منها غنائم كثيرة، الغزوة التى هزم فيها راجا الهند "جيبال"، وغنم منه غنائم وجواهر كثيرة، منها قلادة من الجوهر الثمين أخذت من عنق جيبال قدرت قيمتها بحوالي مائة وثمانين ألف دينار وقلائد أخرى بنفس القيمة[٢].وفي سنة (٣٩٥هـ /١٠٠٤م)هزم حاكم بهاطية "بجيرا" واستولى على مائتين وثمانين فيلًا والعديد من الغنائم[٣].

وخلال سنتى(٣٩٧هـ /١٠٠٦م)، (٣٩٨هـ/١٠٠٧م)غزا السلطان "محمود" الهند وفتح قلاعًا كثيرة، منها قلعة "بهيم نغر"[٤]، وفيها صنم الهنود الأعظم، وكان راجات الهند يرسلون إليه النقود والجواهر النفيسة، ولذا فقد جمع السلطان "محمود" من تلك القلعة كميات كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات التي لا تتسع لها خزانة أي ملك[٥]، فكان وزن الصنم وحده مليون مثقال، وضعه السلطان على عتبة مسجد "غزنة" الذي طعم أبوابه بالذهب والفضة بدلًا من الحديد[٦]، وأخذ من الدراهم سبعين ألف درهم[١]، ومن

G. H. Rawlinson:India, A Short Cultural History ,pp٢٠٧,٢٠٩.

[١]-على الشابى: الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٣٧.

[٢]- الكرديزى: زين الأخبار، ص٢٨٥. محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص٢٤. بداونى: منتخب التواريخ، ج١، ص١١. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣٥٤. "قدرها ابن كثير بمائتي ألف دينار".

[٣]- الكرديزى: المصدر نفسه، ص٢٨٦. محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه والصفحة.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٦٠.

[٤]-العتبى: تاريخ اليميني، ج٢، ص٩٩. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٤٨. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص٦٢.

[٥]- النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٤٤، ٤٥. محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه، ص٢٦.

[٦]- المستوفي القزويني: تاريخ كزيده، ص٣٧.

أواني الذهب والفضة أخذ مائتين منَ من الذهب وألفين منَ من الفضة وعشرين منًا من المجوهرات[٢]، وكان في القلعة بيت مملوء بالفضة طوله ثلاثون ذراعًا، وعرضه خمسة عشر ذراعًا، فأخذ جميع ما فيه[٣]، وبرجوعه إلي"غزنة" أقام حفلًا عظيمًا، وأمر بمد البساط بين قصريه ونثر هذه الدرر واليواقيت وغيرها من المجوهرات عليه حتي تعجب رسل الملوك مما رأوه، وقال رسل"طغان خان"ملك التركستان:"هذه الأنواع لا تحصها إلا الظنون، ولا تبلغ خزانة قارون عشرها"[٤].

وفي سنة (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)استطاع السلطان "محمود" هزيمة جيوش الهند، وغنم ما لا يمكن حصره من كنوز الهند[٥]، ورجع إلي"غزنة" ووضع في بلاطه عدة عروش من الذهب والفضة، وأمر بعرض الأموال فى الخلاء ليراها رعيته[٦]. وفي غزوته على"تهانسير"، هدم معبدها العتيق، وغنم منه ياقوتًا بلغ وزنه أربعمائة وخمسين مثقالًا هذا غير الغنائم الأخري، وعاد ظافرًا إلى "غزنة"[٧]. وفى سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م)استولي علي معبد "متهَّرا" الذي يحتوي علي خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر التي بلغ وزنها ستمائة

---

[١]- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء والصفحة. النويرى: المصدر نفسه والجزء والصفحة. خواندمير: حبيب السير فى أخبار أفراد البشر، طهران، كتاب خانه خيام، ١٣٣٣ ش، ص٣٧٨.(وقد ذكر "البيروني" أنه أخذ تسعين ألف ألف درهم شاهية، وفي ذلك مبالغة كبيرة ولذلك نرجح رأي "خواندمير" بأنه أخذ سبعين ألف درهم)

[٢]- محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه، ص٢٦ (المنَ:وحدة وزن تعادل ٣كجم، ووزنه الشرعى يعادل ١٨٠مثقالًا. عبد الوهاب علوب: فرهنك زبان فارسى واعد، المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٦م، ص ٣٨٢)

[٣]- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء، ص٤٩. ابن كثير: المصدر نفسه والجزء، ص٣٦٣.

[٤]- ميرخواند: روضة الصفا، ص١٤.

[٥]- حامد عبد القادر: الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم، القاهرة، نهضة مصر، ١٩٥٦م، ص٢٦٣.

[٦]- الكرديزى: المصدر نفسه، ص٢٩٠. الهروى: طبقات أكبري، ج١، ص٢٧.

[٧]- الكرديزى: المصدر نفسه والصفحة. محمد قاسم هندوشاه: المصدر نفسه، ص٢٧، ٢٨.

وسبعون ألف وثلاثمائة مثقال[١]، أما الأصنام الفضية فقد بلغت نحو مائتي صنم، فأخذ السلطان جميع ذلك[٢].

وغنم من معبد "موترا" الشهير الواقع علي نهر الجانج، الكثير من النفائس من بينها صنم ذهبي خالص[٣]، وعند عبوره نهر الجانج وجد قافلة تزيد علي ألف جمل فغنمها، وتقابل مع الراجا "تروجيتال" وهزمه، وغنم أموالًا وجواهرًا كثيرة وما يزيد علي مائتي فيل[٤]، ثم توجه ناحية "قنوج"، وفي الطريق مر علي مدينة بها العديد من الغرائب والعجائب، من ذلك ألف قصر مشيد من أحجار الرخام والمرمر بلغ من إعجاب السلطان "محمود "بهم أنه ذكر أنه لن يستطيع بناء مثلهم ولو أنفق ملايين الدنانير وعاش مائتي عام واشترك فيهم أمهر البنائين[٥]، وهذه القصور تضم ألف صنم من الذهب، كل صنم يقارب مائة ألف دينار، وأصنام من الفضة تزيد علي الألف صنم[٦]، وأيضًا أصنام من الذهب الأحمر، في محجر عين كل صنم ياقوتتان، كل واحدة قيمتها تصل إلي خمسين ألف دينار[٧]، وعلي صنم آخر قطعة ياقوت أزرق وزنها أربعمائة مثقال ذهب[٨]، بالإضافة إلي فيل

---

[١]- المثقال مادته ثقل، وهو وحدة من الموازين تعادل وزن مقداره درهم وثلاثة أسباع الدرهم، والجمع مثاقيل، وهو وحدة الوزن والمعاملة من الذهب، ويعدل سبعة أثمان الدينار، والدينار يعدل ستة مثاقيل.(معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص١٠٣.علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، القاهرة، دار الرسالة، ٢٠٠٢م، ص١٤)

[٢]- النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٥١، ٥٢. محمد حبيب أحمد: بين الهند والباكستان، ص٤٣.

[٣]- عبد العظيم رضائى: تاريخ ده هزار ساله إيران، ج٣، ص٣٤. عباس إقبال: تاريخ إيران، ص١٧٨.

[٤]- النويري: المصدر نفسه والجزء، ص٥٨: ٦٠.

[٥]- خواندمير: حبيب السير، ج٢، ص٣٨١.ميرخواند: روضة الصفا، ص١٥٠. الهروي: طبقات أكبري، ج١، ص٣٠. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٧٠.

[٦]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٩. ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٩٢، ٢٩٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨، ص٣٣.

[٧]- G. H. Rawlinson:India, A Short Cultural History,p٢٠٧.

[٨]-خواندمير: المصدر نفسه والجزء والصفحة. ميرخواند: المصدر نفسه والصفحة.

ضخم كان السلطان يتمني شراءَه بأي ثمن[١]. وعند وصوله إلي "غزنة" أحصي غنائم غزوة "قنوج" فوجدها عشرين ألف دينار وملايين الدراهم وخمسين ألف عبد ومملوك وثلاثمائة وخمسين فيلًا غير الجواهر والنفائس[٢]، حتى قيل أنه قسم على جنوده. وعددهم مائة ألف. الذهب والفضة بالكيل[٣].

ومن أشهر غزوات السلطان"محمود "غزوة سنة (٤١٦هـ / ١٠٢٥م) والتى توجه فيها لفتح معبد"سومنات"الشهير. أحد النماذج الرفيعة لفن العمارة الهندية[٤].هذا المعبد كان مبنيًا علي ستة وخمسين عمودًا من الساج المصفح بالرصاص أو بصفائح الذهب المرصعة بالأحجار الكريمة. أما صنم سومنات نفسه فهو من الحجر، طوله خمسة أذرع، موضوع في حجرة تضيؤها قناديل من الجوهر، وعنده سلسلة ذهبية وزنها مائتا منَ، وخزنته مملوءة بالعديد من الأصنام الذهبية والفضية[٥]، ويقدر ما حمله السلطان من معبدٍ "سومنات" ما يزيد علي عشرين مليون دينار[٦].

أما بالنسبة للسلطان"مسعود"(٤٢١: ٤٣٢هـ /١٠٣٠: ١٠٤٠م)فقد جلبت عليه فتوحاته فى الهند أموالًا كثيرة [٧].توجه سنة (٤٢٤هـ / ١٠٣٢م)إلي الهند، وفتح قلعة

---

[١] -الكرديزي: زين الأخيار، ص٢٩٦. بداوني: منتخب التواريخ، ج١، ص١٥.

[٢]- محمد قاسم هندوشاه: تاريخ فرشته، ص٣٠. الهروي: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٣]- ابن كثير: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٤]- عباس إقبال: المرجع نفسه، ص١٧٨، ١٧٩.

[٥]- ابن كثير: المصدر نفسه والجزء، ص٢٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٩. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص٩٠، ٩١. استاد خليلي: المرجع نفسه، ص ٨٦: ٨٩.

[٦] - خواندمير: المصدر نفسه والجزء، ص٣٨٣. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، ج٣، ص٣٤.

[٧]- Percy Sykes: A History of Persia ,p٢٩.

"سرستي" . تقع علي طريق كشمير. وعاد إلي "غزنة" محملًا بالغنائم الكثيرة[١]. وفي سنة(٤٢٦هـ / ١٠٣٤م) بلغت غنائمه من الهند ما يقارب ثلاثين مليون درهم[٢]. كما قام بفتح قلعة "هانسي". تقع جنوب شرق البنجاب. سنة(٤٢٩هـ/١٠٣٧م)وعاد إلي "غزنة" كأبيه محملًا بالغنائم مجللًا بالفخر[٣].

أما السلطان "إبراهيم بن مسعود"(٤٥١: ٤٩٢هـ/١٠٥٩: ١٠٩٨م) فقد توجه إلى الهند سنة(٤٥١ هـ/١٠٥٩م)، وفتح عددًا من القلاع وعاد إلي"غزنة" بالغنائم الكثيرة[٤] التي استخدمها كغيره في تزيين مملكته، فهذا "أبو الحسن الطبري" الفقيه الملقب "بالكيا الهراس" يصف ما شاهده في "غزنة"فيقول:"أرسلني السلطان "بركياروق" إليه. السلطان إبراهيم. فرأيت في مملكته ما لا يتأتي وصفه، فدخلت عليه وهو جالس في طارمة ضخمة بقدر رواق بالمدرسة، وفوق ذلك إلي السقف صفائح الذهب الأحمر، وعلي الباب الطارمة الستور بالمدرسة، وفوق ذلك إلي السقف صفائح الذهب الأحمر، وعلي باب الطارمة الستور التنيسي، وللمكان شعاع يأخذ البصر عند طلوع الشمس عليه، وكان تحته سرير ملبس بصفائح الذهب، وحواليه التماثيل المرصعة من الجواهر واليواقيت، فسلمت عليه وتركت بين يديه هدية كانت معى، فقال نتبرك بما يهديه العلماء، ثم أمر خادمه أن يطوف بى في داره، فدخلنا إلي خرگاه عظيمة قد ألبست قوائمها من الذهب، وفيها من الجواهر

---

[١] - ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢١٠.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص ١٨٩. (ذكرا هذه الغزوة بتاريخ ٤٢٥هـ /١٠٣٣م).الكرديزى: زين الأخيار، ص٣٢٢. بداونى: منتخب التواريخ، ج١، ص٢٢. الهروى: طبقات أكبري، ج١، ص٣٧.

[٢] -الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٩، ص٣٤.

[٣]- بداوني: المصدر نفسه والجزء والصفحة.عباس إقبال: تاريخ إيران، ص١٩٧.استاد خليلي: المرجع نفسه، ص٢٠٣.

[٤]- ميرخواند: روضة الصفا، ص١٦٩. النويري: نهاية الأرب، ج٢٦، ص٨١. عبد العظيم رضايى: تاريخ ده هزار ساله إيران، ج٣، ص٤٦.

والياقيت شيء كثير، وفي وسطها سرير من العود الهندى وتمثال وطيور بحركات إذا جلس الملك صفقت بأجنحتها إلي غير ذلك من العجائب"[١].

ومما يدل على الثراء الذى تمتعت به مدينة "غزنة" فى عهد سلاطين الدولة الغزنوية والذى كان مصدره ثروات الهند، أن السلطان "سنجر السلجوقى"(٥١١: ٥٥٢هـ /١١١٧- ١١٥٧م) عندما دخل"غزنة" في عهد السلطان"مسعود الثالث" (٥٠٨:٤٩٢هـ/١١١٤:١٠٩٨م) أخذ منها أموالًا كثيرة لم يُر مثلها، من ذلك خمس تيجان كل تاج قيمته مليون دينار وسبعة عشر سريرًا من الذهب والفضة وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة بالجواهر[٢].

ب - الجزية

الجزية مقدار من المال فرضه سلاطين "غزنة" علي حكام الهند طبقا لما شرعه الدين الحنيف، فهذا "سبكتكين"(٣٦٦: ٣٨٧هـ / ٩٩٧:٩٧٦م) قرر علي حاكم"قصدار"مالًا يحمل إليه كل عام، ومقداره خمسة عشر مليون درهم[٣]. وعندما طلب ملك الهند الصلح من "سبكتكين"، فأجابه علي طلبه وقرر عليه مالًا كثيرًا يُحمل إليه[٤]. كما ألزم السلطان "محمود"(٤٢١:٣٨٨هـ /١٠٣٠:٩٩٨م) أهل المولتان سنة(٣٩٦هـ / ١٠٠٥م) بدفع عشرين ألف درهم كل عام عقوبة لعصيانهم، وذلك لأنه نما إلى علم السلطان "محمود" أن والى المولتان "أبا الفتوح " دعا قومه إلى اعتناق المذهب الشيعى، فرأى السلطان محمود ضرورة التخلص منه حتى لا تحدث فتنة مذهبية فى دولته، فسار إليه فاستسلم له أهل

---

[١]- ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص١٠٩، ١١٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٦٢. النويري: المصدر نفسه والجزء والصفحة.

[٢]- ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٩، ص١٥٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٢.

[٣]- العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص١٣٣.ميرخواند:روضة الصفا، ص١٣٢.استاد خليلي:سلطنت غزنويان، ص٤١.

[٤]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٣٠٥.

المولتان، وألزمهم الغرامة السابقة، كما أرغمهم على التحول للمذهب السنى[١]، وعند وصوله سنة (٤٠٠هـ /١٠٠٩م) إلي "ناراين" صالح ملكها علي مبلغ من الذهب كل عام[٢]، وخمسين فيلًا وأن يكون له في خدمته ألفا فارس[٣].

ج – الهدايا

أما بالنسبة للهدايا التي كان يرسلها حكام الهند إلي سلاطين "غزنة" فكثيرة، فيذكر "البيروني" أن الملك "تروجيبال" أهدى السلطان "محمود" ياقوتتين علي شكل حبة العنب، وزن كل واحدة منهما اثنى عشر مثقالًا، وأنهما قومتا بعشرين ألف دينار، أطلعه عليها الأخوان الحسن والحسين الرازيان قيّما بيت مال السلطان "محمود" الذي جمع من الجواهر سبعين رطلًا، وكل جوهرة منها لها قيمة عظيمة[٤]، كما أرسل له حاكم قلعة "كَوالير" حين فتحها صلحًا بالهدايا، ومن بينها خمسة وثلاثون فيلًا، كما أرسل له حاكم قلعة "كالنجر" ثلاثمائة فيلا كهدية بالإضافة إلي الأموال والجواهر[٥]. كما أرسل حاكم "دير رام" هدايا وأموال كثيرة إلي السلطان "مسعود" فقبلها وعاد إلي "غزنة"[٦].

والسؤال الآن ماذا فعل سلاطين "غزنة" بكل تلك الثروات؟! تلك الثروات أغرقت مدينة "غزنة" في سيل من الترف حتي أصبحت من أغني مدن الشرق، وأصبحت من أجمل البلاد فى العالم [٧]، كما عملت تلك الأموال علي ايجاد نهضة أدبية وفكرية وازدهار

---

[١]- الكرديزي:زين الأخبار، ص٢٨٧. هندوشاه: تاريخ فرشته، ص٢٥. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٣٤.

[٢]- محمد عبد الحميد الرفاعي: الخلافة العباسية، ص١٧٩.

[٣]- خواندمير: حبيب السير، ج٢، ص٣٧٩. ميرخواند: المصدر نفسه، ص١٤١.

[٤]- محمد عبد الحميد: حياة البيروني، ص٤٢.

[٥]- بداوني: منتخب التواريخ، ج١، ص١٦.الكرديزى: المصدر نفسه، ص٣٠٠. هندوشاه: المصدر نفسه، ص٣١.

[٦]- الكرديزي: المصدر نفسه، ص٣٢٧.

[٧]- استاد خليلي: المرجع نفسه، ٣٥٧

ثقافي فيها، فمن تلك الأموال أغدق سلاطين"غزنة" في العطاء علي الشعراء والأدباء والفقهاء المتواجدين في بلاطها العامر بالعلماء، كما أنفقوا الكثير منها في بناء دور العلم المختلفة من مساجد ومدارس[١].

أخلاق[٢] العلماء

الأخلاق هي جوهر الدين الإسلامي، فقد حدد رسولنا صلى الله عليه وسلم الغاية من بعثته بقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، لذلك تعتبر الأخلاق الحميدة والقيم والمبادئ من المقومات الأساسية لأى نهضة ثقافية، ولها أثرها فى ازدهار علومها، تلك القيم كانت متمثلة يوما ما في العلماء المسلمين، آمنوا بها فكانت سر نجاحهم وجوهر ثقافتهم، فأصبحت الحضارة الإسلامية من أعظم الحضارات وذلك لالتزام مؤسسيها بقيم أخلاقية ثابتة غير قابلة للتغيير أو التعديل[٣].

تميز العلماء المسلمون بوجه عام بأنهم تحلوا بكل ما هو حميد، فكان كل واحد منهم هو الأعلي والأرسخ قدمًا في علمه وفنه، وإن كتب العالم منهم لتعد بالعشرات إن لم تبلغ المئات، ويرجع الفضل في غزارة إنتاجهم وأصالة بحوثهم وتعدد تخصصاتهم واتساع ثقافتهم، إلى تلك الصفات من حب العلم والمعرفة إلى الصبر والمثابرة على البحث العلمى والترفع عن الصغائر والابتعاد عن الغرور والتمسك بالأمانة والاستعلاء بالعلم عن

---

[١]- Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids,p٣٧.

[٢] - الأخلاق: عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنسانى والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان علي نحو يحقق الغاية من وجوده فى العالم علي أكمل وجه.(ريسلر: الحضارة العربية، ص١٨٢)

[٣] -أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص٣٦. ريسلر: الحضارة العربية، ص١٨٢.

زخارف الدنيا ومباهجها، فكانت لهم شخصياتهم التي تفردوا بها بين علماء العالم علي مر العصور[١].

ويمكن تقسيم الأخلاق هنا إلي قسمين: أخلاق شخصية تتعلق بطريقة سلوك العالم من حيث هو إنسان كالإيمان والزهد والصبر وحب العلم وغيرها من الصفات الحميدة، وأخلاق علمية متصلة بعمله العلمى سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ويمكن تلخيص تلك الأخلاق في كلمة واحدة ألا وهى الموضوعية بمعانيها المختلفة من الحياد والروح النقدية والنزاهة والأمانة العلمية[٢].

وبالنسبة للأخلاق الشخصية، كان العلماء المسلمون مؤمنين برسالتهم في إطار مبادئ الإسلام وتعاليمه السامية، لذلك اهتموا بأمور دينهم الحنيف ورسخوا العلم لخدمة القضايا الدينية، وتسهيل آداء الفروض والعبادات والمناسك، فطوروا طرق القياس والحساب لتحديد سمت القبلة، وتعيين أوائل الشهور ومنازل القمر ومواقيت الصلاة والحج وحساب المواريث والمعاملات وغيرها، وألفوا في ذلك العديد من الكتب والرسائل التي استفاد منها المسلمون، كذلك لم يتركوا الفرصة في مؤلفاتهم المختلفة للإشادة بعظمة الخالق وقدرته، كما استفادوا من العلوم المختلفة في كشف أسرار القرآن الكريم[٣]. ومن الظواهر الرائعة التى وضحت فى تلك الفترة اتجاه العلماء إلى إظهار علمهم مصطبغًا بالصبغة الإسلامية البحتة، فظهرعدد كبير من العلماء الإسلاميين الذين وضعوا المناهج الإسلامية الخالصة فى البحث كأبى الريحان البيرونى.

---

[١] -أحمد فؤاد باشا: المرجع نفسه، ص٣٧. مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة اليونسكو: أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، ص١٩٢.

[٢] الموضوعية: هي البعد عن الذاتية والأهواء الشخصية والإلتزام بالحقائق الواقعية وتسجيلها كما هي، والإلتزام بالحيدة، ووقوف الباحث من الظاهرة التي يدرسها موقفًا محايدًا من الناحية الإنفعالية أو العاطفية دون تحيز أو تعصب، ودون أن يترك لأهوائه الذاتية أن تؤثر فيه.(عبد الرحمن العيسوى: مناهج البحث العلمى فى الفكر الإسلامي والفكر الحديث، ص١٠)

[٣]- أحمد فؤاد باشا: المرجع نفسه، ص٣٨.

يكفي الإطلاع علي مؤلفات "البيروني" للكشف عن إيمانه العميق بالإسلام، فعلي الرغم من أنه لم يتناول قضايا إسلامية بالتحديد في مؤلف بذاته، إلا أنه لشدة إيمانه بالله غمرت أبحاثه العلمية الحماسة، وإلي الله خالق الكون كان يتوسل بمؤلفاته ورسائله، كما أنه كان يشعر دائمًا بوجوب جعل مؤلفاته تنسجم كل الانسجام مع تعاليم القرآن الكريم، حيث كان علي إدراك واع للمفاهيم الكونية والطبيعية التي ترد الإشارات إليها في القرآن الكريم، وكثيرًا ما كان يرجع إليها في أبحاثه التجريبية، حيث كان يشعر بأن هذه الآيات تحوى كثيرًا من الحقائق والتى لابد للباحث من السعى إلي اكتشافها[١]، كما أن الدراسات العقلية والدينية المختلفة التي درسها البيروني لم تسلمه إلي الوهن في عقيدته أو الشك في قيمه، بل إنها مكنته من أن يطبعها بطابع الإيمان الحي الذي يزيل كل غشاوة ويدفع الزائف دفعًا[٢].

أما عن حبهم للعلم ومثابرتهم علي البحث العلمي، فيتضح ذلك من خلال الرحلات العلمية الشاقة التي كانوا يقومون بها، حتي أن العالم منهم كان يقطع آلاف الأميال من أجل أن يلقى عالمًا ويحقق مسألة علمية أو يطلع علي كتاب أو يحصل علي مخطوط نادر[٣]. واتضح ذلك أيضًا من خلال علم الفلك، فقد لاحظ الفلكيون التغيرات في الظواهر الطبيعية والتي قالت عنها التحقيقات الفلكية القديمة أنها ثابتة وغير متغيرة، فاتضح لهم ذلك بفضل صبرهم الذى كان معينًا لهم ومشجعًا في أبحاثهم، والذى ساعدهم علي تكوين دقة حسهم في تمييز الفروقات[٤].

وقد وصل "البيروني" إلي ما وصل إليه من معرفة بفضل ما منحه الله من فطرة صبورة علي البحث، فلم يترك جهدًا ولا وقتًا إلا بذله في سبيل دراسته وتحقيق القضايا التي كان

---

[١]- بركات محمد مراد: البيروني فيلسوفًا، ص٢٧.

[٢]- علي الشابى: الأدب الفارسي في العصر الغزنوى، ص٢٩٣.

[٣]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص٣٧.

[٤]- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ص١٥١.

بصددها. ويحدثنا "ياقوت الحموى" في ذلك فيقول "ولا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر وقلبه الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة، لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش"[١] ومع كثرة ترحاله بين مختلف الأقاليم ومصاحبته للسلطان "محمود" في غزواته إلا إنه لم يكن ينقطع لحظة واحدة عن الكتابة أو التأليف أو تحقيق الأرصاد الفلكية أينما كان وحيثما ذهب.

أما عن ترفع العلماء عن الصغائر وزهدهم في المال، فنضرب المثل على ذلك "البيروني" والذى كان حبه للمال حب الإستغناء وليس حب الجشع والشراهة فإذا زاد المال عن حاجته رده إلي ذويه، فالذى يهمه في المقام الأول أن يتوفر له الحد الأدني من الحياة الكريمة والتي تمكنه من التفرغ لبحوثه، فإذا زادت الأموال عن حاجته امتنع عن قبولها لأن هدفه لا يخرج عن نطاق العلم[٢]. وكان جلوس العلماء للتدريس دون أجر مادي دليلًا علي إخلاصهم لعملهم وتفانيهم فيه، إذ لم يكن هناك دافع لهم سوي خدمة العلم والرغبة في الثواب، ومن أجل هذا اجتمع علماء "ما وراء النهر" وأقاموا مأتما للعلم عندما بلغهم خبر بناء المدرسة النظامية في "بغداد"، وقالوا كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العالية والأنفس الذكية يقصدون العلم لشرفه والكمال به، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخسَّاء وأرباب الكسل فيكون ذلك سببًا لمعانته وضعفه.[٣]

كذلك اتسم العلماء والشعراء بالجود والكرم، ومنهم الشاعر "مسعود سعد سلمان"[٤] والذى مدح الكثير من أمراء و وزراء الدولة الغزنوية، وفضلًا عن كونه شاعرًا رفيع

---

[١]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٧، ص١٨١.

[٢]-علي الشابى: المرجع نفسه، ص٢٨٩. محمد غريب جودة:عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية، ص١٦١.

[٣]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢١٧، ٢١٨.

[٤]-مسعود سعد سلمان:من كبار شعراء النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، عاصر السلطان "إبراهيم"، وأحيانًا كان يصاحب الأمير "سيف الدولة محمود بن إبراهيم"، والذي أصبح واليًا علي الهند سنة(٤٦٩هـ/١٠٧٦م)رحل مسعود إلى بلاطه وأصبح ملازمًا له حتي سنة(٤٨٠هـ/١٠٨٧م)،

المنزلة كان كريمًا سخيًا علي زملائه الشعراء، وقيل أنه كان يجود بما تحمله قافلة من العطايا لمن تعجبه رباعية من رباعياته، وذلك حين كان على جانب كبير من اليسار[١] ومن ذلك قوله:.

عندما كان لدى مال ومتاع، لم تكن للسانى عادة الرفض وقول لا فى أى وقت إطلاقًا [٢]

كذلك كان"مسعود سعد"صاحب سجايا وفضائل أخلاقية وعقل راجح محبًا للعلم والبحث والتحصيل، وفيًا فى حبه مخلصًا لديه إباء واعتزاز أصيل بالنفس، متدينًا طاهر العقيدة قوى الإيمان، له رأى فى المذاهب والأفكار الفلسفية، وكان شجاعًا عفيف النفس غير أنانى، صبورًا على تحمل الشدائد لا تلين له عزيمة [٣].

أما التواضع، فهو سمة غالبة علي سلوك علماء ذلك العصر، فقد آمنوا بأن المعرفة لا حد لها، وأن العاقل من يظن أن فوق علمه علمًا، فهو أبدًا يتواضع لتلك الزيادة والجاهل من يظن أنه قد تناهي، فتمقته النفوس لذلك[٤]. فالعالم منهم كان يرى أنه يتعين عليه البحث عن الحقيقة المطلقة بمعزل عن الأهواء والرغبات، ويسعي ورائها لأنها الحقيقة وليس للتفاخر بالمعرفة[٥].

وبمرسوم من السلطان"إبراهيم"حبس ابنه"سيف الدولة محمود" و"مسعود سلمان"، ومكث في الحبس حتى سنة(٤٩٠هـ/١٠٩٦م)، وبعد وفاة السلطان "إبراهيم" أودع السجن مرة أخرى، ظل في هذا السجن قرابة ثماني سنوات ثم أفرج عنه سنة (٥٠٠هـ /١١٠٦م) (عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٥١. نظامي العروضي:جهار مقالة، ص١٢٢. ذبيح الله صفا:تاريخ ادبيات در إيران، جلد دوم، ص٤٨٨:٤٨٣. رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٨٦)

[١]- حسين حبيب المصرى:المسجد بين شعراء العربية والفارسية والتركية، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣م، ص١٦٩.

[٢]- طلعت محمد أبو فرحة: مسعود سعد سلمان، ص٢١٤.

[٣]- المرجع السابق، ص٢٠١.

[٤]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٣٨.

[٥]- محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية الإسلامية، ص١٦١.

كما اتسم العلماء بالشجاعة والصدق والدفاع عن الحق، فهذا "البيروني" كان من أشجع الناس في ذلك العصر وأكثرهم صراحة، فإذا طلب إليه أن يكشف عن رأيه في موقف ما لم يتردد عن المجاهرة بالحق، فقد صارح "أبا العباس مأمون بن مأمون" بامتعاضه من مواقفه المترددة لمواجهة السلطان "محمود"، وباستخفافه من ضعفه أمام جيشه، وذلك عندما استشاره حول الدعاء للسلطان "محمود" والخطبة باسمه[١]. كما أنه لا يتأخر عن الهجوم والعنف إذا ما رأي الحق في خطر، هذه الشهادة من المستشرق "سخاو" يؤيدها ويتأكد من صحتها كل من نظر في كتب "البيروني"[٢]. ويقول عن نفسه في إصرار "إني لا آبي قبول الحق من أي معدن وجدته"[٣]. كذلك كان خصمًا عنيدًا للكذب، فنجده يرفع من شأن الصدق، وخاصة فيما يتصل بالبحث العلمي، حيث يعتبره أرفع أنواع الشجاعة، فهو لا يقل عن شجاعة خوض المعارك "فالخلق الذي تظنه العامة شجاعة إذا رأوا إقدامًا علي المعارك وتهورًا في خوض المهالك هو نوعٌ منها"[٤].

ولأهمية الأخلاق نجد الكثير من المؤلفين المسلمين يهتمون اهتمامًا كبيرًا بأخلاق طلاب العلم وواجباتهم، ومن تلك المؤلفات يمكن كتابة نبذة موجزة عن أهم ما يجب أن يتحلي به طلاب العلم، فقد وضع الأمير "عنصر المعالي"[٥] في كتابه "قابوسنامة" صفات

---

[١]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٧٣١.

[٢]- عبد الحليم محمود: الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي، ص١٥.

[٣]- البيروني: تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، حققه ب .بولجاكوف، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، (د. ت)، ص١٠٤.

[٤]- البيروني: تحقيق ما للهند، ص١٤.

[٥]- عنصر المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشماگير"(ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م) عاشر الأمراء الزياريين حكم قهستان من سنة(٤٤١هـ /١٠٤٩م)، كان على صلة كبيرة بالأسرة الغزنوية، حيث تزوج ابنة السلطان محمود= =واشتغل مدة بمنادمة السلطان "مودود بن مسعود" كما اشترك في غزوات الهند، ولم يتوان الأمير في شيخوخته وشبابه عن تكميل نفسه وتزويدها بالمعارف المختلفة، وعندما بلغ الثالثة والستين من عمره جمع ما حصل من معرفة وعلم وما اكتسب من تجارب في كتاب وقدمه إلي ابنه ليعلمه كيف يعيش ويحكم وهو كتابه قابوس نامة.(ذبيح الله صفا: تاريخ سياسى واجتماعى وفرهنكى إيران،

طالب العلم ومنها "فإذا كنت طالب علم من الحرف التي ذكرتها فكن متعففًا وقانعًا ومحبًا للعلم وعدواً للدنيا وحمولًا وخفيف الروح وساهرًا ومبكرًا وحريصاً في الكتابة والدراسة ومتواضعًا وغير ملول من العمل وحافظًا ومكررًا للكلام، ومتفحصًا للسير، ومحبًا للعلماء، ووقورًا ومحترمًا، وكن في التعلم حريصًا وغير خجول وعارفًا لحق الأستاذ.وكل طالب علم بهذه الصفة سرعان ما يصير فريد العصر"[١].

أما بالنسبة للأخلاق العلمية والتي تمسك بها علماء "غزنة" فهي تتمثل في الموضوعية، وأول معني للموضوعية هي الروح النقدية[٢]، والتى اتصف "البيروني" بها في كتاباته، فنجده ينقد جهلاء عصره والمتحاملين علي أهل العلم والمشتغلين بالمعرفة لقوله "إذا نظرت إلي أهل زماننا وقد شكلوا في أقطاره بشكل الجهل، وتباهوا به وعادوا ذوي الفضل، وأوقعوا بمن اتسم بالعلم وساموه أنواع الظلم والضيم"[٣]. كذلك تتجلي الروح النقدية عنده حين ينقد مثلًا "جالينوس" لتصديقه خبر ملكات الحيات التي إذا رآها أو سمع فحيحها امرؤ مات في وقته، فيقول "...فليت شعرى من أخبر بمكانها أو أخبر بأمرها إذا اطلع عليها ميتًا"[٤].

ص١٦٣. أربرى: تراث فارس، ترجمة محمد كفافى وأحمد الساداتى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م، ص٢٨٤. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسى، ص٧٣)

[١]- عنصر المعالى: كتاب النصيحة المعروف باسم قابوسنامة، ص١٦٣.

[٢]- الروح النقدية:هي أن يأخذ العالم علي عاتقه أن يفحص ويدقق ويتحري، دون تدخل من أهوائه، وأن يعي في ذهنه كل خطوة يخطوها. بركات محمد مراد: البيرونى فيلسوفًا، ص٩٠.

[٣]- البيرونى: تحديد نهايات الأماكن، ص٢٢.

[٤]- البيرونى: الجماهر في معرفة الجواهر، ص٩٩.

هناك معني آخر للموضوعية وهو الحياد[١]. وهذا المعني نتبينه بوضوح فى مقدمة كتاب البيرونى "تحقيق ما للهند" حيث يتبين لنا منهجه في تناول عقائد الهنود ومعتقداتهم وشرح أفكارهم ونظرياتهم، وهو يتوخى فيه الموضوعية ويحاول أن يحقق أقصي حياد يمكن أن يقوم به باحث في قوله "ففعلته غير باهت علي الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه، وإن باين الحق واستفظع سماعه عند أهله، فهو اعتقاده وهو أبصر به، وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتي استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الذائع منها عن الحق، وإنما هو كتاب حكاية، فأورد كلام الهند علي وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من أمثلة لتعريف المقارنة بينهم"[٢].

كما يتجلي الحياد والأمانة العلمية لدى علماء الإسلام في إنساب الأعمال إلي أصحابها والتنويه بأفضال الآخرين وعدم التهرب من إنساب إنجازاتهم إليهم حتي لو تم الإضافة إليها، فهذا "البيروني" ينسب النظريات الرياضية من هندسة وحساب مثلثات إلي أصحابها سواء كانوا من العلماء المسلمين أو الفرس أو اليونان، أما أفكاره الخاصة فيذكرها علي أنها من وحي له أو من برهان خاص به[٣]. وفي ذلك تقول المستشرقة "زيغريد هونكه" "كم كان من السهل أثناء نقل مثل تلك الأخبار من فم لآخر أن تسرق النظريات والاكتشافات، ولكن الأمانة العلمية الحق منعت هذا... فلم يكن العربي يرضي أن يحرق فمه بأفكار سرقها عن غيره، فمن يرغب من المعلمين أن يحاضر من كتاب لغيره وجب عليه أن يحصل أولًا علي إجازة من مؤلف هذا الكتاب، ولم يكن لأحد أن يأخذ آراء أستاذه التي ألقاها

---

[١]- الحياد:هو أن يعطي العالم كل رأى من الآراء المعارضة حقه الكامل في التعبير عن نفسه دون التحيز مسبقًا لرأى من الآراء، وإذا انحاز العالم فى آخر الأمر لأحد الآراء فلابد أن يكون انحيازه هذا مبنيًا على تقدير موضوعي بحت لإيجابيات الحجج وسلبياتها. بركات محمد مراد: المرجع نفسه، ص٩٧.

[٢] - البيرونى: تحقيق ما للهند، ص١٥، ١٦.

[٣]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٤٠.

شفويًا في إحدي محاضراته ليُدِّرسها لتلاميذه دون أن يستأذن أستاذه صاحب الرأي نفسه... وبذلك كان حفظ حق المؤلف مرعيًا مقدسًا"[١].

يتضح مما سبق الصفات الشخصية والعلمية التي اتصف بها العلماء المسلمين، ومنهم علماء مدينة "غزنة" في تلك الفترة والتي يجب أن يتصف بها كل عالم، تلك السمات الأخلاقية جعلتهم جديرين بالمكانة العلمية والاجتماعية التي احتلوها، فالعالم منهم كان معلمًا وداعية وقدوة حسنة، وكان مسئولًا عن رقي وتقدم واستقرار المجتمع الذي يعيش فيه، وعدته في ذلك كله هو التمسك بالأخلاق الإسلامية والعلمية في آن واحد من الدقة في العمل والصدق في القول وتحديد الهدف والنقد الذاتي والصبر، وهي المعايير التي تميز العالم الأصيل عن غيره.

تلك كانت القدوة الطيبة التي يجب أن نحذو حذوها ونضعها نصب أعيينا حتى يستفيد منها الناشئة من أجيال أمتنا الإسلامية، فلن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت علي الأسوة الحسنة، تلك الأسوة التي يجب أن نأخذها من أسلافنا الرواد... حتي بعد أن رحلوا عنا بألف عام.

حوانيت الوراقين

أدرك العلماء المسلمون أهمية النشر في توصيل العلم إلى أهله، قال تعالى:﴿**والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور**﴾[٢] فقد أقسم الله سبحانه وتعالي في هذه الآيات بالقرآن الكريم الذي تقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ ويقرؤه المؤمنون من المصاحف، ونكر الكتاب لأنه مخصوص بين الكتب، والرق هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه، ومنشور أي مفتوح[٣]. ومن الأقوال المأثورة التي تدل علي أهمية نشر العلم عند العلماء المسلمين

---

[١]- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ص٣٩٧، ٣٩٨.

[٢]- الطور: (١: ٣)

[٣]- النسفى: تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٣، بيروت، دارالقلم، ١٩٨٩م، ص١٧٠٦.

قول أحد الحكماء في ذلك " لن يصان العلم بمثل بذله، ولن تكافئ النعمة فيه بمثل نشره"[١]، كما أن العلم لا يكون علما إلا بانتقاله للآخرين، ولن يكون ذلك إلا بنشره.

حرص العلماء علي نقل نتائج أبحاثهم إلي المشاركين لهم في المجالات المشتركة التي يهتمون بها، فلا قيمة لتلك النتائج إذا احتفظ بها صاحبها لنفسه، فالغرض الأساسى لتأليف الكتب هو نشر المعلومات والانتفاع بها، ولا شك أن أكثر المؤلفين يرجون أن يكتب لمؤلفاتهم الانتشار والرواج، ولن تكون تلك الاستفادة إلا بتوفر الكتاب فى عدة نسخ حتى يتسني للمستفيدين الحصول علي نسخ منه إما عن طريق الشراء أو عن طريق الإستعارة من المكتبات التي تعمل علي اقتناء نسخ من هذا الكتاب.

ومن الجدير بالذكر أن الترجمة كانت من أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار مهنة الوراقة، فمع زيادة حركة الترجمة ظهرت الحاجة إلي نسخ الكتب وتبادلها بين الناس، وعليه فقد ظهرت الوراقة لتفى بمثل هذه الحاجات، حيث كان الوراقون ينسخون الكتب المنقولة والمترجمة لعدد كبير من الموسرين ومحبي المعرفة حين كانوا يرغبون في الاحتفاظ بها في مكتباتهم الخاصة أو وقفها علي طلبة العلم[٢].

كان المشتغل بنسخ الكتب وتصحيحها وبيعها فى تراثنا الإسلامي يعرف بالوراق[٣]، وقد ظهر هذا المصطلح بعد معرفة المسلمين الورق وانتشار صناعته في النصف الثاني من

---

[١]- ناصر محمد عبد الرحمن:الاتصال العلمي فى التراث الإسلامى من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، دار الغريب، (د.ت)، ص١٢٩: ١٣١.

[٢]- ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمي فى التراث الإسلامى، ص١٣١.

[٣]- ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٨٨٩.

القرن الثاني للهجرة[١]. ففي التقدم الثقافي يمثل الورق عدته وآلاته لأنه السبيل إلي حفظ المعرفة وبقائها علي مر الزمان[٢].

استدعى انتشار استعمال الورق والاستغناء عن الرقوق غالية الثمن ظهور طائفة من الناس اشتغلوا بالورق والكتابة، وهؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دورًا مهمًا في تاريخ الثقافة الإسلامية، فقد كانوا فئة من المتعلمين الذين يتمتعون بالمعرفة الواسعة والعلم الغزير والثقافة العالية، والذين تركوا لنا آلاف الكتب التي حفظت لنا تراث حضارتنا[٣]. ذلك لأن الوراقين آن ذاك كانوا الناشرين للكتب عن طريق نسخها وبيعها، ولم تكن حوانيتهم أماكن للبيع فقط ولكن كانت مجمعًا للعلماء والأدباء ومحبي الكتب، تعقد فيها المناظرات وتدور بها المناقشات[٤]. كما لم يكن أصحاب تلك الحوانيت مجرد تجار ينشدون الربح المادي فقط، بل اختاروا هذه المهنة لما تتيحه لهم من فرص القراءة والاطلاع لهم ولغيرهم من المثقفين، وبذلك فهي تقوم مقام المكتبات العامة حاليًا[٥].

كان الوراقون علي فئات ثلاث: منهم الوراقون المحترفون الذين اتخذوا الوراقة مهنة يرتزقون منها بتوفير نسخ الكتب للراغبين في شرائها مقابل أجر متواضع، حيث لم يغالوا في أثمان الكتب حرصًا منهم علي خدمة العلماء ومساعدة الطلاب وإسهامًا في بناء الحضارة، ومنهم وراقو المؤلفين وهم الذين ينسخون الكتب لمؤلفين بعينهم يعملون تحت

---

[١]- شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ص١٤٩. عبد الله العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٣.

[٢]- ريسلر: الحضارة العربية، ص١٨٥.

[٣]- هالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٤م، ص٢٢٥.

[٤]- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م، ص٧٥. يوسف محمود: الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، ص٧٩.

[٥]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٤٢. هالة شاكر: المرجع نفسه، ص٢٣٨.

أيديهم، ومنهم المؤلفون الوراقون، وهم جماعة من المؤلفين كانوا ينسخون كتبهم وكتب غيرهم من العلماء[١].

وهذه المهنة يجب أن يتوفر في صاحبها دقة الضبط وجودة الخط ووضوحة وإتقان العمل بحيث لا تدعوه الرغبة في السرعة والإنجاز إلي حذف جزء أثناء الكتابة[٢]، فإذا توافرت تلك الصفات كانت سببًا في إقبال الناس علي اقتناء الكتب التي نسخها أحد الوراقين المتسمين بتلك الصفات.كما كان واجبًا علي الوراق ألا يكتب شيئًا من كتب أهل البدع والأهواء والتي لا ينتفع بها المسلمين[٣]، لذلك كان هناك نوعًا من الرقابة علي أسواق الوراقين وحوانيتهم بحيث تمنعهم من نسخ الكتب التي لا يتناسب موضوعاتها والتوجه الديني أو الاجتماعي، بل ربما استحلف الوراقون علي ألا ينسخوا بعض الكتب الممنوعة من التداول، لما تشكله من خطر علي الفكر، وخشية الفتنة والانحراف عن الدين[٤].

ومن أشهر وراقي مدينة "غزنة" "محمد بن إسحاق بن علي بن داود بن حامد القاضي أبو جعفر الزوزني البحاثي"(ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، وهو ممن اشتهروا بحسن خطهم، كان ينسخ كتب الأدب بخط حسن النسخ جميل[٥]، نسخ بخطه كتاب "يتيمة الدهر" "لأبي منصور الثعالبي" في خمسة مجلدات بخط حسن، وبيعت تلك النسخة بثلاثين دينارًا نيسابوريًا، كذلك كتب نسخة من "غريب الحديث" لأبى سليمان الخطابى[٦].

ومنهم "محمود الوراق" وهو من العلماء الوراقين، فله العديد من المؤلفات في شتى أنواع المعرفة، قام بتأليف كتاب في التاريخ بدأه منذ بداية التاريخ وحتى سنة (٤٠٩هـ/

---

[١]- ناصر محمد عبد الرحمن: المرجع نفسه، ص١٣٤: ١٣٦.

[٢]- أحمد شلبى: المرجع نفسه، ص١٤٦.

[٣]-السبكى:معيد النعم، تحقيق محمد على النجار وأبو زيد شلبى، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٩٣م، ص١٣١.

[٤]-على بن إبراهيم الحمد النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، ص٦٦.

[٥]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣١، ص١٢٧: ١٢٩.

[٦]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٨، ص٢٠.

١٠١٨م) وهى السنة التي بدأ فيها البيهقي تاريخه، وقد استقى منه البيهقى كثير من المعلومات فى كتابه "تاريخ البيهقى"، ولا يعرف تاريخ وفاته علي وجه التحديد، ومن المرجح أنه توفي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى لما ذكره"البيهقى" من أنه قام بتأليف كتابه هذا سنة(٤٥٠هـ /١٠٥٨م)[١]. ومنهم"أبو المحامد محمد بن مسعود بن محمد الزكى الغزنوى"والذى كتب كتاب الصيدنة للبيرونى، وقد اعتمد على المسودة التى كتبها البيرونى بنفسه ومعه الشيخ "أحمد النهشعى" [٢].

ومن العلماء من كان يقوم بنسخ كتبه بنفسه ومن هؤلاء البيرونى فقد جاء فى نهاية كتابة "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن":" تم كتابة تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن وفرغت منه بغزنة لسبع بقين من رجب سنة عشرة وأربعمائة "[٣].

خلاصة القول أن حوانيت الوراقين لعبت دورًا بارزًا في إثراء الحركة الثقافية التي شهدتها مدينة "غزنة" لأنها كانت أماكن التقاء العلماء، ومنتدى للجدل والنقاش والتواصل الفكري، كما أنها كانت سبيل الإنسان لحفظ أفكاره ومآثره، وتخليد علومه وثقافته، كما أنها تعتبر من المؤسسات التربوية البعيدة عن التعصب لمذهب أو فرقة معينة[٤].

وبذلك نكون استعرضنا أهم عوامل ازدهار الحياة الثقافية في مدينة "غزنة"، فالتقدم العلمى لتلك المدينة كانت له أسباب وعوامل كثيرة لايمكن ربطها بأمر دون آخر، وكانت من تلك العوامل أمور فقدناها فى هذه الأيام، فقد كان إخلاص الطرفين العالم والمتعلم، وكان استغراق الوقت كله فى العلم، وكانت بساطة الأحوال الاجتماعية و شظف العيش،

---

[١]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢٨٧.

[٢]- محمد سويسى: أدب العلماء فى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرى (البيرونى وعمر الخيام)، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م، ص٧٨.

[٣]- أيمن فؤاد السيد: الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات، ج٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م، ص٣٩٤.

[٤]- سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٦م، ص ٤٧٥.

كل ذلك وغيره كان سببًا من أسباب التقدم العلمى. فالعلم ومنجزاته هو ما يقود الأمم إلى التقدم والقوة والرخاء، ذلك العلم لا يزدهر ويثمر إلا في أحضان حضارة متكاملة تقوم علي أسس متينة من النظم السياسية والمبادئ الأخلاقية والعقائد الراسخة والمثل العليا مما لا يتوفر للمسلمين في عصرنا الحالي.

ثانيًا: المؤسسات التعليمية في مدينة "غزنة"

المنشآت التعليمية

نتيجة لأهمية التعليم. الذى لازم الدعوة الإسلامية منذ ظهورها. وضروريته لبناء أى مجتمع حضارى، فكان لابد من توفيره بين طبقات المجتمع وتسهيله على كل فرد منهم، لذلك أقام سلاطين الدولة الغزنوية منشآت تعليمية متعددة ومتنوعة لخدمة العلم ورفع شأن أبنائه ثقافيًا.

تدرجت المراحل التعليمية عند المسلمين، وهذا ما وضحه لنا "ابن خلدون" فى كتابه "المقدمة"[١]، فبدأت أولًا بالكتاتيب ثم المساجد فالمدارس، بالإضافة إلى المجالس العلمية، وهذا ما سيتم توضيحه من خلال المؤسسات التعليمية.

الكتاتيب

الكُتَّاب أو المكتب هو المرحلة الأولى فى نظام التعليم عند المسلمين، وهو أقدم أنواع المؤسسات التعليمية [٢]، والذين يتولون تعليم الصغار فيها يسمون المعلمين أو المكتبين، وهذه الكتاتيب إما أن تكون فى بيوت المعلمين أو تكون فى أماكن خاصة يتخذها المعلمون لهذا الغرض، وقد يكون الكُتَّاب ملحقًا بالمسجد دون أن يكون داخلًا فيه[٣]. كان الآباء

---

[١]- ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص١١١٠.

[٢]- الشهرزورى: تاريخ الحكماء، ص٢٩٧. أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٥.

[٣]- ذبيح الله صفا: تاريخ تعليم وتربيت إيران إز قرن هفتم تا قرن دهم، مجلة مهر، شمارة٢، سال جهارم، تيرماه، ١٣١٥هـ، ص١٥٧. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٢. عبد الله منسي

يدفعون الصغار إلى الكُتَّاب منذ الصغر فى الخامسة أو السادسة، وبعضهم فى السابعة أو الثامنة، على أن العام السادس من عمر الطفل يعد المرحلة الملائمة لدخول الكُتَّاب، وكانت مدة بقاء الطفل فى الكُتَّاب خمسة أو ستة أعوام[١].

شكلت العلوم المختلفة التي تدور أساسًا حول الموضوعات الدينية القسم الرئيسى من المنهج الدراسى للكُتَّاب، فشملت الدراسة القرآن الكريم والأحاديث والأخبار وبعض الأحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب، إلى جانب تعلم القراءة والكتابة والخط الذى كان له مدرسون متخصصون[٢]، ولكن التركيز كان منصبا على القرآن الكريم والعلوم الدينية[٣]. وعندما يتم الصبى مدة الدراسة فى الكُتَّاب ويحفظ القرآن الكريم يمتحنه المعلم ليتأكد منه، فإذا اجتاز الامتحان احتفل بالختمة ليواصل دراسته إن أراد ذلك[٤].

كان المعلمون يتقاضون الأجورعلي تعليمهم للأطفال إلا أن بعضهم كانوا يرفضون الأجر على تعليم القرآن[٥]، بل كان بعضهم يرفض تقاضى أجر على تعليم الأدب، ومنهم

العمري: تاريخ العلم عند العرب، ص١٨، ١٩.رحيم كاظم، عواطف العربي: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (د.ت)، ص١٤٩.

Hillen Brand:Madrasahs Islamic Period,vol.٢, London,٢٠٠١,p١٦٦.

[١]- ابن سينا:القانون، ج١، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٨٧٧م، ص١٥٧. هشام نشابه:المدنية الإسلامية، ترجمة أحمد محمد تعلب، مقالات مختارة من حلقة التدارس التي عقدت بمركزالشرق الأوسط، جامعة كمبردج، اليونسكو، ١٩٨٣م، ص٨٢.

[٢]- ابن خلدون: المصدر نفسه والجزء، ص١١١٧. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه، ص ١٦٣. أحمد جاب الله شلبى: التعليم والتربية عند المسلمين، ص٥٣.

Hillen Brand: Op,cit ,p١٦٦.

[٣]-Yamin Cheng:The Islamic Sciences and Question of the Modern Muslim Identity, the Islamic Quarterly,vol.٤٧,no.١,٢٠٠٣,p٣٨.

[٤]- رحيم كاظم، عواطف العربى: المرجع نفسه والصفحة.

[٥]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٣.

الشاعر "أبى حنيفة الإسكافي" الذى كان يعلم الأدب بدون أجر[١]. وفى الأعم الأغلب كانت الأجور التي يدفعها الصبيان إلى معلمى الكتاتيب محدودة، بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه وطاقة أهله المالية[٢].

ولأن مهنة معلم الكُتَّاب من المهن العظيمة فهى أساس التعليم، ولأنها تنمى قدرات الصغار علي التعلم وتدفعهم إلي المضى قدمًا فى التعليم ودراسة العلم علي يد شيوخه فى أى مكان، لذلك خضعت الكتاتيب لرقابة المحتسب، فكان يتوثق من معلمى الصبيان ممن تتوفر فيهم الشروط الأخلاقية والاجتماعية والعلمية، كأن يكون المعلم صحيح العقيدة متدينًا عاقلًا من حملة كتاب الله عالمًا بالقراءات، صالحًا لتعليم القرآن والحديث والخط والأدب[٣].

لم يكن الرجال فقط هم المتخصصون في مهنة تعليم الصغار وتثقيفهم، بل تخصصت بعض النساء في العصر الغزنوى فى تلك المهنة، ومنهم جدة "البيهقى"، وقد ساهمت هذه السيدة . التي للأسف لم نصل إلى اسمها . في تعليم العديد من الصغار وتثقيفهم فى شتى أنواع العلوم الدينية والأدبية، وامتازت بالتقوى والورع وعلو الهمة والمهارة في تفسير القرآن الكريم، وكانت على دراية كذلك بالعلوم الإنسانية [٤].

---

[١]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٣٠٢، ٣٠٣.

[٢]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٢٣.

[٣]- السبكي: معيد النعم، ص١٣٠.(كانت نصيحة السبكى للأباء بصدد اختيار من يعلم أبناءهم ذات أهمية كبرى فى التربية الإسلامية، فالمعلم قد يكون مسلمًا كاملًا فى مظهره الخارجى فيما يتعلق بأداء الفرائض الدينية، ولكنه قد لا يرقى إلى مرتبة المؤمن، أى المسلم الذى لا يكتفى بممارسة شعائر دينه بمظهرها الخارجى فحسب، وإنما يؤمن بها فى قرارة نفسه، وغير ذلك قد يلحق ضررًا بليغًا بثقافة الطفل الدينية)

[٤]-البيهقى: المصدر نفسه، ص١١٥. نعمة على مرسى:المرأة المسلمة فى آسيا الوسطى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص١٠١.

ومما يدل علي علو مكانة الكُتَّاب فى ذلك الوقت أن قصده أبناء السلاطين ومنهم السلطان "محمود"، فقد ذهب إلى الكُتَّاب وكان زميله فيه "أحمد بن حسن الميمندى" والذى أصبح وزيره بعد ذلك[١].

التعليم الأوَّلي بالقصور

صاحب انتشار الكتاتيب عند العامة انتشار التعليم الخاص لأبناء السلاطين والأمراء، وهو نوع من التعليم الأولى يتم فى القصور، وهذا التعليم يجد فيه أبناء هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التى سينهضون بها فى المستقبل، فينتدب الآباء معلمين خصوصيين للتدريس لأبنائهم في قصورهم بدلًا من إرسالهم إلي الكُتَّاب[٢].ويطلق على هؤلاء المعلمين اسم المُؤَدِّبين، أما التلميذ فكان يسمي مُؤَدَّب، وفي هذه التسمية المأخوذة من الأدب ما يشير إلى الدور الهام الذى يقوم به المعلم، والذى يتعدى مجرد تعليم الصبى ليشمل تربيته وتهذيبه فى العقل والخلق[٣].

كان هؤلاء المؤَدِّبون ينتقون من كبار الأدباء ممن يوثق بدينهم وعلمهم وقدراتهم التربوية، كما كانوا موضع احترامٍ وتقديرٍ، وحظوا بمكانة طيبة ورعاية خاصة، بل حصل البعض منهم علي مراكز رفيعة، كما كانوا يتقاضون أجورًا سخية ومكافآت كبيرة في المناسبات[٤]. وفى أغلب الأحيان كان يخصص جناح للمؤَدِّب يعيش فيه ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل[٥]. لذلك نجد السلاطين والعظماء يهتمون بمؤَدِّبى أولادهم اهتمامًا عظيمًا، وارتفعوا بمستواهم الاجتماعى إلى درجة تناسب مكانهم من الأمراء.

---

[١]- خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٦.

[٢]- أحمد شلبى: المرجع نفسه، ص٣٦.

[٣]- عبد الله العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢١.

[٤]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٣.

[٥]- أحمد جاب الله شلبى: التعليم والتربية عند المسلمين، ص٥٥.

أما مناهج التعليم لهذه الطبقة فكان يتلَّون تبعًا لمستقبل المتعلمين وما ينتظرهم من مهام، فبالإضافة للأسس العامة لمناهج التعليم التى توضع لجميع الصبيان، كان هناك منهج آخر يشارك الآباء في وضعه وتحديده ليكون ملائمًا للأهداف والمسئوليات التي ستواجه الأمير في مستقبل حياته[١]. وعندما يتقدم الصبى فى السن يعهد بتأديبه إلى علماء من ذوى الاختصاص كلًا فى مجال تخصصه، وربما جعل هؤلاء تحت إشراف عالم كبير يرجعون إليه[٢].

ومن أهم مؤدِّبى سلاطين الدولة الغزنوية"أبو العباس الفضل بن على الإسفراينى" مؤدب السلطان "محمود"(٣٨٨:٤٢١هـ/٩٩٨:١٠٣٠م)، تولى تأديبه منذ الصغر وحتى تولى الحكم، وكان له دور بارز فى إعداده لتولى مهام منصبه حتى استطاع تثبيت أركان دولته والارتفاع بمكانتها[٣].

ومن أهمهم أيضًا "أبو أحمد محمد بن أحمد الإستعذاديزى"(ت٤٣٩هـ/١٠٤٧م) مؤدب أولاد السلطان "محمود"، وهو من علماء نسف الأجلاء، توجه إلى مدينة "غزنة" واشتغل بتأديب أولاد السلطان "محمود"[٤]. كما عهد السلطان "محمود " أيضًا إلى المؤدب "أبو يعقوب يوسف" بتربية إبنيه "مسعود" و"محمد"[٥]. ومما قام بتأديبهما أيضًا الإمام القاضي"صاعد"[٦]، كما عهد إلي "سالمي" أستاذ البيهقى بتأديبهما وتأديب أخوه الأمير

---

[١]- رحيم كاظم، عواطف محمد العربى: الحضارة العربية الإسلامية، ص١٤٩.

[٢]- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٠م، ص٣٠٨.

[٣]- الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٥٠٤.

[٤]- السمعانى: الأنساب، ج١، ص١٣٤.

[٥]- نعمة علي مرسى: المرأة المسلمة في آسيا الوسطي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص٢٤٢.

[٦]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ٢١٣.

"يوسف"، وقد حظى "مسعود" لأنه ولي عهد أبيه بمكانة خاصة في هذه الفترة، وكان عمره حين ذاك أربعة عشر عامًا[١].

المساجد أما المرحلة الثانية من مراحل التعليم الإسلامى فكانت تتم فى المسجد، الذى ظل المعهد التربوى الأول بلا منازع واستمر فى أداء وظيفته حتى بعد ظهور معاهد تربوية أخرى، باعتباره المكان الأمثل للتعليم وخاصةً تعليم العلوم الدينية.

لعبت المساجد دورًا عظيمًا فى نشر العلوم والثقافة وفى المساهمة فى تكوين الحضارة الإسلامية، فهى المنارات التى انبثق منها نور العلم في الدولة الإسلامية عبر مراحلها المختلفة، لأنها مكان العبادة والتعلم، وموطن التذكير والتوجيه، وفيها وضعت أسس الثقافة الإسلامية، كان يدرس فيها العلوم الدينية من علوم القرآن وعلوم السنة والشريعة، وكل علم تحتاج إليه الأمة الإسلامية[٢]. ولعل السبب في جعل المسجد هو المركز الأساسى لنشر الثقافة فى العالم الإسلامى، هو أن العلم ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالدين الإسلامي، فاضطلع المسجد عن جدارة واستحقاق بأعباء نشر الدعوة الإسلامية ونشر العلم فى نفس الوقت، ولأن المسجد هو بيت الله ولحرص أولى الأمر على نشر مجانية التعليم فكان المسجد هو المكان الأنسب لذلك[٣].

عقدت مجالس العلم فى المساجد، فكان العلماء والفقهاء والأدباء يجلسون فى المساجد وحولهم طلابهم، وسميت مثل هذه المجالس بحلقات العلم لأن الشيخ كان يجلس بالقرب من الحائط أو أحد أعمدة المسجد ثم يجلس الطلاب حوله علي شكل حلقة أو دائرة، ويدونون ما يلقيه عليهم[٤]. وكانت تلك الحلقات مفتوحة لمن يشاء رجلًا كان أو

---

[١]- المصدر السابق، ص١١٥، ١١٦.

[٢]- عبد العزيز محمد اللميلم: رسالة المسجد فى الإسلام، ١٩٨٧م، ص١٩.

[٣]- على محمد مختار: دور المسجد في الإسلام، مجلة دعوة الحق، العدد١٤، السنة الثانية، ١٤٠٢هـ، ص٦٤.

[٤] - ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٦٤. عبد الله العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٠. منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٤.

امرأة، كبيرًا أو صغيرًا، فالأبواب مفتوحة لكل طارق لا فرق بين جنس وآخر أو لون وغيره. ولم تقتصر تلك الحلقات على الدراسات الدينية فحسب وإنما تعدتها إلى سواها من المعارف العلمية. وكانت المناقشات تتم فى تلك الحلقات بين الطلاب وأساتذتهم، فالطالب له الحق فى سؤال أستاذه ومعارضته، وهذا النظام كان أكبر دافع للأساتذة للإعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيها، كما كان للطالب الحق فى اختيار الحلقة التى يرغب فى الجلوس فيها[١]. تلك الحلقات والتى نبعت من المساجد كانت أقدم ما عرفه الناس فى تلقى العلم، تخرج فيها الكثير من خيرة العلماء.

ولما كان لعمارة المساجد أجرٌ عظيم، كما أنها عملٌ مرغوبٌ فيه اجتماعيًا فقد أقبل عليه ذوى السلطان والنفوذ. ويأتى سلاطين "غزنة" على رأس المهتمين ببناء المساجد فى كل المناطق الخاضعة لحكمهم، وأولوا عناية خاصة بعاصمتهم "غزنة"[٢] التى أطلق عليها مدينة "الاثنى عشر ألف مسجد ومدرسة"[٣]. ومما يدل علي اهتمام سلاطين الدولة الغزنوية ببناء المساجد قول الشاعر الغزنوى "محمود سعد سلمان":

الملك في ساعة تقـــرر والفتح في لحظة تيَّســـر

ولما تمت ليد الدولة قوتها وضعت علي الفلك قدم المنبر

والبيت الثانى يحمل دلالة مهمة وهى أن الدولة الغزنوية لم تقم بحد السيف وحده، وإنما أيضًا بقلوب يعمرها الإيمان ويغمرها اليقين، وما ذاك إلا لأنها بعد أن اجتمعت قوتها وارتفعت مكانتها سرعان ما اتخذت من الدين القويم شعارًا لها، ولذلك أقامت المساجد

---

[١]- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ص٣٩٧.

[٢]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٢٥.

[٣]- اسفزارى: روضات الجنات فى أوصاف مدينة هرات، ص٣٦١. (وربما كان المؤلف مبالغا فى هذا الرقم الذى وصف به المدينة لإعجابه الشديد بها، فالقاهرة مثلا قيل عنها مدينة الألف مئذنة بمساحتها المعروفة فما بال مدينه كهذه؟! وربما يدخل فى هذا الإحصاء المساجد التى كانت فى المنازل أو الملحقة بالمنشآت التجارية والمساجد الصغيرة والمساجد الجامعة ومساجد المدارس ومنشآت الصوفية)

العامرة بالمؤمنين، والشاعر هنا يعتبر إقامة المساجد دليل على عظمة الدولة، فالمسجد هو رمز الإسلام ومركز العلم والثقافة[١].

أما أهم مساجد مدينة"غزنة" فهو المسجد الجامع الذى بناه السلطان "محمود" (٣٨٨:٤٢١هـ/ ٩٩٨:١٠٣٠م) فى وسط المدينة بعد عودته من غزوة "قنوج" بالهند[٢]، وسماه "عروس الفلك"[٣]، وأنفق عليه كل ما غنمه في هذه الغزوة، وحمل إليه الأعمدة والجذوع من بلاد الهند، وفرشت ساحته بالمرمر، وازدانت جدرانه وسقفه بالنقوش ذات الألوان الرائعة، فطليت نقوشه بالذهب الذى بذله السلطان بغير حساب حتى ضاقت به أوعية الصاغة[٤]، وأفرد السلطان لخاصته بيتًا فى المسجد، وأمام البيت مقصورة تسع ثلاثة آلاف غلام[٥].

لم يكن السلطان "محمود" هو الوحيد الذى اهتم ببناء المساجد في مدينة "غزنة"، ولكن سعي أبناؤه من السلاطين والأمراء، وكذلك أعيان المدينة فى بناء المساجد والتى كانت تفوق عن الحصر[٦].

خرجت تلك المؤسسات التعليمية إلي حيز الوجود بعد تقنين البر لأغراض التعليم في نظام الوقف، فالوقف جعل معاهد العلم تكتسب صفة الدوام والاستمرار، وهيأ لها الاستقلال عن الواقف نفسه، وقد حدث هذا النوع من أعمال البر على أوسع نطاق فى

---

[١]- حسين حبيب المصرى: المسجد بين شعراء العربية والفارسية، ص١٧٠.

[٢]-ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٩٧. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٦٧. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص٩٢.

[٣]- محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص٤٢، ٢٢٣.

Fraser-Tytler: Afghanistan, A Study of Political Developments in Central Asia, p٢٦.

[٤]-ميرخواند: روضة الصفا، ص١٥١. هندوشاه: تاريخ فرشته، ص٣٠.

Lane Poole:Mediaeval India Under Mohammedan Rule (A.D.٧١٢-١٧٦٤) pp٣١,٣٢.

[٥]-أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٠. استاد خليلى: المرجع نفسه، ص١٤٧.

[٦]-ميرخواند: المصدر نفسه والصفحة. المستوفي القزويني: تاريخ كزيدة، ص٤١.

القرن الرابع الهجرى، والشئ المؤكد أن المسجد كان النمط الأول لمعهد العلم فى الإسلام، وأنه كان مؤسسة خيرية يحكمها نظام الوقف، والذى كان يصرف من ريعه رواتب المدرسين وغير ذلك من متطلبات المسجد.وخير مثال على ذلك أن السلطان "محمود" أوقف على المسجد الجامع بغزنة العديد من القرى والضياع لينفق من ريعها علي متطلبات المسجد والطلاب[١].

هذا وقد أدت المساجد في مدينة "غزنة" دورًا رائدًا فى نشر العلوم الإسلامية ليس في "غزنة" فحسب بل فى بث روح المعرفة في نفوس المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، حيث كان طلاب العلم من مختلف الأنحاء يلتقون حول أساتذتهم فى حلقات ينهلون من علمهم، كما تخرج من تلك المساجد العديد من علماء الإسلام الذين أثروا الفكر الإسلامى بمؤلفاتهم القيمة وتراثهم الخالد الذى خلفوه لنا.

يتضح لنا مما سبق أن المسجد كان أساس النهضة العلمية، فمن خلاله أشرقت شمس المعرفة منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، وبنظرة فاحصة لتاريخ نهضتنا الإسلامية فى العالم الإسلامى وفى الدولة الغزنوية يتبين أهمية لنا دور المسجد ورسالته العظيمة في بناء تلك النهضة.

المدارس

كان لتغيير طريقة التعليم وتطور العلوم الإسلامية وتقدم المعارف سببًا فى إيجاد نوع جديد من المؤسسات التعليمية، ذلك أنه لما انتشرت طريقة التدريس نشأت المدراس كمركز تعليمى أوسع، فالمسجد وإن قام بدور هام في الحياة العلمية إلا إنه كان مركزًا دينيًا

---

[١] -خواندمير: حبيب السير، ص١٥١. حسين علي ممتحن: رازبقاى تمدن وفرهنكَ إيران، جند مقالهء تاريخي دانشيا دانشكاه ملي إيران، ص١٢. ذبيح الله صفا: تاريخ تعليم وتربيت إيران إز قرن هفتم تا قرن دهم، ص١٥٨.

بالدرجة الأولي، فالتدريس بما يتبعه من مناظرة ومجادلة وبحث ونقاش، كلها أمور كانت تؤدى إلى إزعاج المصليين الذين تطرق آذانهم أصوات تلك المناقشات[١].

اختلفت المدارس عن المساجد وعن غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى، فمن أبرز معالمها أنها تتألف من إيوان واحد أو أكثر تبعًا لما هى مخصصة له من الدروس الفقهية إذا كانت علي مذهب واحد أو على عدة مذاهب[٢]. ومن فناء مستطيل الشكل وصفوف من الغرف على كل جانب لكل طالب غرفة خاصة به، كما تضم إيوانين فى الصدر والظهر أو إيوانًا واحدًا في مواجهة المدخل[٣]، كذلك أحتوت في أغلب الأحوال علي بهو مكشوف وفسيح، كما نظمت فى كل مدرسة قاعات فسيحة تتناسب سياستها مع الغرض الذى أعدت له كخزانات الكتب أو قاعات لمذاكرة الدروس وتناول الطعام، كما تضم كل مدرسة مبانى داخل حدودها وفى كل جانب من جوانبها أو ركن من أركانها كالمطبخ والحمام، وغير ذلك من المنافع العامة للعاملين والطلاب بها[٤].

اهتم السلاطين والأمراء الغزنويون ببناء المدارس منذ تأسيس دولتهم في "غزنة"، وذلك لمقاومة المذهب الشيعى ونشر المذهب السنى[٥]، بالإضافة إلى حاجة الدولة إلي

---

[١]-أحمد شلبى:تاريخ التربية الإسلامية، ص٩٦. آدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى، ص٢٩٩.

[٢]- طه الولى: المساجد في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م، ص٨٤.

[٣]-آوقطاى آصلان: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، أستانبول، مطبعة رنكلر، ١٩٨٧م، ص٤٦.

[٤]- سعيد إسماعيل على:معاهد التربية الإسلامية، ص٣١٩، ٣٢٠. ناجى معروف:المدخل فى تاريخ الحضارة العربية، ط٣، بغداد، ١٩٥٢م، ص٢٣١.

Behcet Unsal: Turkish Islamic Architecture in Seljuk and Ottoman Time(١٠٧١-١٩٢٣), London,١٩٥٩,p٣٠.

Hillen Brand:Madrasahs Islamic Period,p١٦٦.

[٥]-آوقطاى آصلان:المرجع نفسه والصفحة. أرنست كونل: الفن الإسلامى، ترجمةأحمد موسى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦م، ص٦٣.

الموظفين من قضاة وعمال وكتاب، يتخرجون من مدارس منهجية يتفهمون عقائد الدين الإسلامى، ويتعودوا الطاعة والنظام ضمن مناهج المدرسة، فالمدارس فى الإسلام كانت دينية بالدرجة الأولى[١].

ومن تلك المدارس التى أُنشئت فى عهد الدولة الغزنوية مدرسة "باب بستان"، وكان القاضى "أبو صالح التباني"(ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)إمامًا فيها علي مذهب الإمام "أبى حنيفة"، وقد أرسل السلطان"محمود"سنة(٣٨٥هـ/٩٩٥م)إليه بعد استيلائه على خراسان لكى يحضر إلى غزنة ويقوم بالتدريس فى تلك المدرسة، تخرج على يديه العديد من العلماء، منهم قاضى القضاة "أبو سليمان بن داود بن يونس"، وكانت منزلة أبى صالح هذا لدى السلطان محمود من الرفعة بحيث قال عند وفاته لوزيره الخواجه أبى العباس الإسفراينى[٢]: "اذهب إلى مدرسة هذا الإمام لإقامة مأتمه، إذ ليس له ولد يقوم بذلك وكنت

---

[١]- Hillen Brand: Op,cit ,p١٦٦.

[٢] -الإسفراييني: هو أبو العباس الفضل بن أحمد من كبار رجال الدولة الغزنوية، كان أديبا وشاعرا، وهوأول من تولي الوزارة للسلطان" محمود"، وفي أول أمره كان من كتاب أبي الحسن فائق المعروف بفائق الخالص(ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م)، ثم أصبح بعد ذلك صاحب بريد مرو، وحين تغلب "سبكتكين"سنة (٣٨٤هـ /٩٩٤ م)علي أبى على سيمجور وفائق اللذان تمردا بخراسان، طلب"محمود"من الأمير"نوح الساماني"أبا العباس الفضل"ليعمل فى الوزارة وظل= =وزيرًا للسلطان"محمود"من سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)إلي سنة (٤٠١هـ /١٠١٠م)، وفي هذه السنة عقب الخلاف الذي وقع بينه وبين "محمود" بسبب قلة الخراج، وحاجة السلطان الملحة إلي المال، ذهب إلى قلعة "غزنة"، وكتب له رسالة سمي نفسه فيها بالمحبوس فانتهز "محمود" الفرصة وصادر أمواله، وظل في تلك القلعة حتي هاجمه الناس، وقتلوه في غيبة "محمود" في الهند سنة(٤٠٤هـ /١٠١٢م) (ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٥٣٨.على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص٧١.استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص٢٨٢)

قد اعتزمت القيام بنفسى بهذا الواجب استجابة لضميرى، ولكن نظرًا لأن الناس قد يلومونني أو يرون فى هذا عيبًا رأيت أن تقوم بذلك "[١].

وهناك المدرسة التى قام السلطان "محمود" ببناءها بجوار المسجد الجامع، وجعل الشاعر العظيم"العنصرى"عميدًا لها[٢]، وأطلق عليها دار العلم[٣].اجتمع في تلك المدرسة من الشعراء العسجدى والفرخى والفردوسى وغيرهم من أكابر علماء العصر وأدبائه[٤]، وقد قصد طلاب العلم هذه المدرسة من جميع أنحاء العالم الإسلامى[٥]. كما احتوت على مكتبة علمية ضخمة كان يتردد عليها طلاب العلم من كل البلاد للتزود بالعلم والمعرفة[٦].

هناك أيضًا العديد من المدارس التي أنشأها سلاطين وأمراء الدولة الغزنوية، ومنهم الأمير"السعيد نصر" والسلطان "مسعود" وغيرهما، ولم يقتصر نشاطهم هذا على مدينة "غزنة" فحسب، وإنما امتد إلي كافة البقاع التابعة للدولة الغزنوية[٧]، ويتضح مما سبق أن الغزنويين سبقوا الوزير السلجوقى"نظام الملك"[٨] فى إنشاء المدارس، فقد ذهب عدد غير

---

[١]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص٢١٣، ٢١٤. ناجي معروف: مدارس قبل النظامية، مجلة المجمع العلمى العراقى، مجلد٢٢، لسنة ١٩٧٣م، ص١٢٠.

[٢]- يوسف حسين خان: نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطي، مجلة ثقافة الهند، العدد٢، ١٩٦١م، ص٦١.

[٣]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٣.

[٤]- أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ج٢، ص٥٩٠.

[٥]- يوسف حسين خان: المرجع نفسه والصفحة.

[٦]- ميرخواند: روضة الصفا، ص١٥١. ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٢٦٧، ٢٦٨. محمد حسن عبد الكريم: خراسان في العصر الغزنوى، الأردن، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (د.ت)، ص٢٥٧.

[٧]- ميرخواند: المصدر نفسه، ص١٦٠، ١٦٤.

[٨]- نظام الملك: هو الحسن بن على بن إسحاق وزير السلطان ألب أرسلان وابنه السلطان ملكشاه، ولد بطوس سنة(٤٠٨هـ /١٠١٧م)، ترقى فى المناصب حتى وصل إلى منصب الوزارة، وكانت أيامه دولة أهل العلم، اغتاله ديلمى من الإسماعيلية سنة(٤٨٥هـ /١٠٩٢م) (ميرخواند: المصدر نفسه،

قليل من المؤرخين والباحثين إلى أن نظام الملك هو أول من أسس المدارس فى الإسلام فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى[١].

قام بالتدريس في تلك المدارس علماء وفقهاء وأدباء لهم شهرة كبيرة في المشرق الإسلامي، وخاصةً بعد أن توفرت لهم سبل الراحة من الناحية العلمية والمادية، لأنهم كانوا يتقاضون أثناء دراستهم رواتب شهرية[٢]، كانت تلك الرواتب تأخذ من الخزانة العامة أو من إيراد الأوقاف التى كانت عادة تعين لينفق من ريعها على تلك المنشآت، وكانت تلك المرتبات تختلف باختلاف المدرس وريع الوقف، وعلى العموم عاش هؤلاء العلماء فى بحبوحة من العيش، ونعموا بمستوي مالي مرموق، إذ أضفى عليهم السلاطين والأمراء كثير من رعايتهم، وأمدوهم بهبات متعددة لا تنقطع[٣].

أدى انتشار المدارس في"غزنة"إلى زيادة عدد العلماء والطلبة، مما استدعى زيادة في النفقات التي تحتاجها تلك المدارس، وخاصة إذا علمنا أن الطلبة كانوا يتلقون المساعدات الكثيرة المتمثلة في توفير الطعام وأماكن الإقامة وغيرها من المصروفات، مما ترتب عليه زيادة الأوقاف التى ينفق من ريعها علي تلك المدارس[٤].

كان من خصائص المدارس فى تلك الفترة أن تنشأ عادةً لفرقة معينة من الفرق الإسلامية، ولم يكن يسمح لأتباع الفرق الأخرى بالدخول فيها، وكان يدرس فيها

ص٢٦٥.مصطفى صدرى:شرح حال رجال ومشاهير نامى إيران، جاب أول، طهران، ١٣٧٤، ص٢٤٨)

[١]- السيوطى:حسن المحاضرة، ج٢، مصر، مطبعة إدارة الوطن، ١٨٨١م، ص١٨٤.

Clive Irving:Crossroads of Civilization ٣٠٠٠ years of Persian History,London,١٩٧٩,p١١٦.

[٢]- العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٢٩٩، ٣٠٠. أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٠.

[٣]- ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٥٠.أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٢٧.

[٤]- خواندمير: حبيب السير، ص١٥١، ١٦٠.

البحوث الفقهية والكلامية لتلك الفرقة، والدليل علي ذلك أنه عندما قام أحد مشاهير "بيهق" ويدعى"أبو القاسم علي بن محمد بن عمر" ببناء أربع مدارس كبري في نيسابور للكرامية والشيعة والحنفية والشافعية، ووصل هذا الخبر إلى السلطان "محمود" فأحضره إلي مدينة غزنة سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) وعاتبه قائلًا لماذا لا تنصر المذهب الذى تنتمي إليه، وتبني مدرسة لأئمة هذا المذهب ؟! ومن ذلك نرى أن بناء أى شخص لمدرسة تدَّرس بها جميع المذاهب تتعارض مع مذهبه، فإنه ينظر إليه كمنافق ولا يتقرب بعمله إلى الله تعالى[١].

مما سبق يتضح أن الغزنويين أنشأوا العديد من المدارس فى مدينة "غزنة " تلك المدارس أنجبت علماء حملوا مشاعل الهداية ونور العلم والمعرفة إلى الناس أجمعين.

المكتبات[٢]

تعتبر الكتب فى أى أمة من الأمم مظهر من مظاهرها الحضارية، بل لعلها أهم تلك المظاهر وأبعدها أثرًا، لأنها الوعاء الذى يضم ثمرات عقول أبنائها وإبداعاتهم في مختلف العلوم والفنون، لذلك شغف المسلمون بالقراءة ومطالعة الكتب واقتنائها، ونالت منهم كل تقدير وإعجاب، فكثيرًا ما نجدهم يهتمون بالكتاب وفضله ومميزاته، وعن فضيلة الكتب قالوا:.

هم جلساء ما نَمَلُّ حديثهم ... أمينون مأمونون غَيبًا ومشهدًا

---

[١]- ذبيح الله صفا: المرجع نفسه والجزء، ص٢٦٧.

[٢]- المكتبات:كانت تسمى بأسماء تشتمل علي ستة ألفاظ ثلاثة منها تتعلق بالموضع أو المكان وهى "بيت، خزانة، دار"، والثلاثة الأخري تتعلق بالمحتوى "حكمة، علم، كتب"، وعن طريق الجمع بين هذه الألفاظ هناك سبعة أسماء اصطلاحية كانت تسمى بها المكتبات "بيت الحكمة و خزانة الحكمة و دار الحكمة و دار العلم و دارالكتب و خزانة الكتب و بيت الكتب"، وجميع الأسماء المركبة من هذه الألفاظ، وكلها كانت مستعملة فى الواقع فى ذلك الوقت. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٣٢.

إذا ما خلونا كان خير حديثهم مُعينًا علي نفي الهموم مؤيـــدًا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضي وعقلًا وتأديبًا ورأيًا وسؤدَدًا[١]

ويقول أبو الفتح على بن محمد الكاتب البستى فى وصف الكتاب:.

بنفسى من أهدى إلى كتابه فأهدى لى الدنيا مع الدين فى درج

كتاب معانيه خلال سطوره لآلىء فى درج كواكب فى برج[٢]

أما عن أنواع تلك الكتب فقد امتازت بالتنوع، فمنها الكتب المختصرة والموسوعات الضخمة، ومنها جداول للطلاب في شكل أسئلة وأجوبة، ومنها كتب تمهيدية ولوائح جامعة ضمت بين دفتيها كل معارف العصور السابقة والعصور الحاضرة، تلك الكتب كانت منظمة ومتسلسلة ومشروحة فى تفصيل جعل منها ثمرة سائغة فى متناول كل طالب علم[٣].

ترتب على هذا التقدير وذلك الإعجاب وتلك المميزات، الاهتمام بإنشاء دور تحوى تلك الكتب، فانتشرت المكتبات في جميع البلدان الإسلامية، وتسابق السلاطين والأمراء في إقامة المكتبات الضخمة وتزويدها بكل ما تنتجه قرائح العلماء فى مختلف فروع المعرفة[٤]، لتسهيل المطالعة وتيسيرها للراغبين وبخاصة غير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها آنذاك[٥].

ولأن المكتبة مكانًا للبحث والدرس والتأليف اعتبرت من المؤسسات التعليمة في تلك الفترة، ومع الازدهار الثقافي الذي شهدته مدينة "غزنة"، واتساع أفق سلاطينها العقلي

---

[١]- أحمد شلبى: المرجع نفسه، ص١٢١، ١٢٢.

[٢]- الثعالبى: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٥٣.

[٣]- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ص٢٨٦.

[٤]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمى للحضارة الإسلامية، ص٣٤.

[٥]- رحيم كاظم، عواطف العربى: الحضارة العربية والإسلامية، ص١٥٩.

وتقدمهم الحضاري وحبهم للعلم والمعرفة، زاد بنفس القدر الاهتمام بإنشاء المكتبات فزاد عددها وتنوعت أغراضها حتي شملت جميع الأغراض التي تؤسس المكتبات من أجلها فهناك المكتبات العامة والخاصة والمكتبات السلطانية.

تعتبر **المكتبات العامة** هي المقياس الحقيقي لتقدم ورقي الأمم، وكثرتها وسهولة ارتيادها دليل على ثقافة الأمة وحبها للعلم، لذلك قلما تخلو بلدة أو قرية أو ناحية من مكتبة عامة مفتوحة للجميع، دخولها والمطالعة فيها مجانًا[١].وقد أنشئت تلك المكتبات بالمساجد منذ اتخذ المسلمون المسجد مكانًا للدراسة لتكون في متناول طلاب العلم، ثم أنشئت متصلة بالمدارس عندما بدأت في الظهور، وكانت المكتبات من هذا النوع كثيرة جدًا بحيث كان من الصعب أن نجد مسجدًا أو مدرسة دون أن تزود بمكتبة تحتوى علي كافة أنواع الكتب ليرجع إليها الطلاب والباحثون[٢].

سعى السلطان"محمود"(٣٨٨:٤٢١هـ /١٠٣٠:٩٩٨م)لإقامة المكتبات العامة في حاضرة دولته لتكون مرجعًا للعلماء والأدباء حين الحاجة إليها، لذلك أضاف إلي المسجد الجامع بغزنة مدرسة، وأضاف إليها مكتبة مزودة بنفائس الكتب وغرائبها من المؤلفات لجميع العلماء والأدباء وأئمة الفقه[٣]. واعتبرت تلك المكتبة من المكتبات الفريدة في تلك الفترة لأنها احتوت علي مجموعة قيمة من الكتب فى جميع فروع العلم وأقسام المعرفة[٤]، وكانت جميعها من المؤلفات القديمة والنادرة التى لم يتوفر وجودها إلا فى مدينة "غزنة" [٥].

ولو تساءلنا كيف استطاع السلطان "محمود" الحصول علي تلك الكتب القيمة، نقول أنه استطاع الحصول عليها بطرق متعددة أهمها المصادرة، فعندما قام السلطان "محمود"

---

[١]- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ص٢٧.

[٢]- ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، جلد أول، ص٢٥١.

[٣]- العتبى: تاريخ اليمينى، ج٢، ص٢٩١، ٢٩٩. بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق، ص٣٥٥. استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص١٤٧.

[٤]- يوسف حسين خان: نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى، ص٦١.

[٥]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٣.

بفتح "الري" سنة (٤٢٠هـ /١٠٢٩م) كان صاحبها "مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه" مشغولًا عن أمور بلدته بقراءة الكتب ونسخها، وكان يمتلك مكتبة ضخمة حوت مختلف فروع المعرفة، فلما فتحها السلطان "محمود" أحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال، وأخذ من الكتب ما ساوى مائة جمل إلي خزائنه فى مدينة غزنة، وفهرستها وحدها تقع في عشرة مجلدات[١].

كذلك عندما دخل جنود السلطان "مسعود"(٤٣٢:٤٢١هـ/١٠٤٠:١٠٣٠م)سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م)أصبهان استولى"أبو سهل الحمدانى"علي خزائن "علاء الدولة بن كاكوية"، وكان "ابن سينا" في خدمته فأخذت كتبه وحملت إلى "غزنة"، وجعلت في خزائن كتبها[٢]. لذلك كانت مدينة "غزنة" تعج بالكتب والتي تبدو واضحة في آثار الشعراء والعلماء علي السواء[٣]، ولكن طريقة المصادرة كانت طريقة استثنائية وليست القاعدة في إغناء المكتبات بالكتب، وإنما القاعدة الرئيسية في إغناء المكتبات بالكتب هي شراء الكتب ونسخها ووقفها[٤].

حرص الوزراء والعظماء والكثير من العلماء علي اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب في مكتباتهم الخاصة، وسميت بالخاصة لأنها تخص أفرادًا معينين أنشأوها لمصلحتهم ومن أموالهم الخاصة[٥]، ولم تكن إقامة المكتبات الخاصة مقصورة على هؤلاء فقط بل كانت هواية الناس جميعًا وعلى اختلاف طبقاتهم، فمتوسط ما تحتويه مكتبة خاصة لمسلم فى القرن الرابع الهجرى كان أكثر مما تحتويه مكتبات الغرب مجتمعه[٦].

---

[١]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٩. آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص٢٩.
Bosworth: The Development of Persian Culture under the Early Ghaznavids ,p٣٨.

[٢]- البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام، ص٦٧، ٦٨. ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص٢١١.

[٣]- علي الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، ص١٨٤.

[٤]- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ص١٦٤.

[٥]- المرجع السابق، ص٨٦.

[٦]- أحمد فؤاد باشا: التراث العلمي للحضارة الإسلامية، ص٣٤، ٣٥.

كان الصوفى الكبير "الهجويرى" ممن جمع خزانة كتب قيمة واهتم بها كل الاهتمام، فقد كان يمتلك مكتبة قيمة في "غزنة"، وقد أبدى أسفه لأنه عندما عاد يؤلف كتابه "كشف المحجوب" في مدينة "لاهور" بالهند، لم تكن فى متناول يده كتبه التي تركها فى مدينة "غزنة"[١].

ومن أنواع المكتبات الأخرى التي وجدت في مدينة "غزنة" **المكتبات السلطانية،** وهي مكتبات كان ينشؤها السلاطين والأمراء والحكام من أجل أنفسهم، جعلوها حلقات للمناظرة والسمر فى مختلف العلوم. وجدت تلك المكتبات متى وجد سلطان أو أمير أو حاكم محبًا للعلوم والآداب راغبًا في الكتب وأصحابها[٢]، فهي تعكس اهتمام الحكام أنفسهم بالثقافة لأنها كانت للاستعمال الشخصى فى الأعم الأغلب، وإذا فتحت أبوابها فلفئة معينة من الناس.

عُرف عن سلاطين "غزنة" حبهم للعلم واهتمامهم بالعلوم والآداب، لذلك اهتموا بإنشاء المكتبات السلطانية، ومنهم السلطان"مسعود الثالث" (٤٩٢:٥٠٨هـ/ ١٠٩٨:١١١٤م)، والذى أسند أمر رعاية دار الكتب السلطانية إلى الشاعر العظيم "مسعود سعد سلمان"، وكان هذا الشاعر سعيدًا جدًا بهذا العمل الذي تولاه فشكر السلطان عليه كثيرًا، ووعد بأن يبذل غاية جهده في الاعتناء بالكتب ورعايتها وتنظيم علومها وفنونها، بل لقد ذهب في شكره للسلطان إلي القول بأنه سوف ينفض الغبار عنها بوجهه. يقول الشاعر فى هذا المعنى ما ترجمته:.

.يا مولاى إن لسان عبدك، فى الثناء عليك وشكرك مثل السحاب الذى يمطر سكرًا

.عبدك يزين الآن دار الكتب وينظمها، بتوفيق الله الفرد الجبار

.ولسوف يجعلها تفوق من حيث المقدار، كل دار للكتب توجد في العالم

---

[١]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٤١.

[٢]- محمد ماهر حمادة: المرجع نفسه، ص١٠٨.

.فهو ينهض كل صباح مبتهجًا فرحًا، فيكنس تراب كل حجرة بصفحة وجهه

.ويعمرها بروحه ويعلي من شأنها، فليس هناك مهندس معماري لها مثل عبدك

كما كانت تلك المكتبات منظمة تنظيمًا رائعا جيدًا، بحيث مكنها هذا التنظيم من خدمة قرائها أفضل خدمة، وفى ذلك يقول الشاعر "مسعود سعد سلمان" ما ترجمته:.

.فهو ينظم كل علم ويرتبه بحيث يكون كل شخص طالبا لنوع من العلوم والفنون

.وهو يملأ جميع حجراتها وأرففها، بكتب التفسيروالأخبار والسير والأشعار[١]

أما أبنية المكتبات فقد اهتم بها المسلمون اهتمامًا عظيمًا، فكان البناء مزودًا بحجرات متعددة يربط بينها أروقة فسيحة أو رفوف تثبت بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب[٢]، وتوضع الكتب علي الأرفف مستلقية الواحد فوق الأخر، بحيث تكون القطع الصغيرة فوق القطع الكبيرة حتي لا تسقط[٣]. كذلك لم تخل مكتبة ذات شأن سواء كانت عامة أو خاصة من فهارس يرجع إليها ليسهل استعمال كتبها على الدارسين والباحثين.

كانت الفهارس علي نوعين إما أن تكون مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب، فيرجع إليها الباحث من أجل معرفة محتويات المكتبة، وإما أن تكون أسماء الكتب والمؤلفين مكتوبة علي لائحة معلقة علي مدخل كل قسم من الأقسام، وكلًا النوعين كان شائع الاستخدام[٤]. ويسجل "أبو الحسن البيهقي" أنه رأى بنفسه فهارس كتب "الصاحب بن عباد" التي استولي عليها السلطان "محمود الغزنوي"(٣٨٨:٤٢١هـ/٩٩٨: ١٠٣٠م) وأن تلك الفهارس كانت تقع في عشرة مجلدات[٥]. كذلك كان لكل عالم عظيم فهرسة لكتبه،

---

[١]- طلعت محمد اسماعيل: مسعود سعد سلمان، ص١٧١

[٢]-أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص١٢٩.

[٣]-ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص١٧١، ١٧٢.أحمد شلبى: المرجع نفسه، ص١٣٠.

[٤]- محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، ص١٥٤.

[٥]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٤٠٦.

فقد ذكر"ياقوت الحموي" أثناء حديثه عن "البيروني" أنه شاهد فهرست كتبه في وقف الجامع "بمرو" فى ستين ورقة [١].

ومن آداب التعامل مع الكتب، يقول ابن جماعة:"ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها أو مخدة أو مروحة، ولا مكبسا ولا مسندا ولا متكأ....وإعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم، وإفادة الناس عامة، حتى عد من صفات العلماء المحمودة. ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو إعارتها أن يتفقد المشترى أو المستعير أو مالكها بأن يتعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ويصفح أوراقه، ولعل من الأعمال الحسنة التى كان يقوم بها بعض العلماء وقف الكتب رجاء الأجر، وللمحافظة عليها من التلف"[٢].

كان يعمل بالمكتبات العامة موظفون يرأسهم الخازن، وهو أمين المكتبة والذى كان من أصحاب العلم والمعرفة والمكانة الرفيعة، والمترجمون والنساخ والمجلدون، والمناولون وهم الذين يرشدون القراء إلى موضع الكتب على الرفوف أو إحضار الكتب لهم من أماكنها إلى حجرات المطالعة[٣].

كانت الأوقاف هى المصدر الذى ينفق منه على المكتبات وما يلزمها، ويشمل ذلك ترميمها وتزويدها بالكتب ودفع مرتبات الموظفين، وتزويدها بالبسط والسجاجيد والستائر وجميع أنواع الأثاث الذى يساعد الإنسان على المطالعة ويوفر له الراحة، وقد درج السلاطين والعلماء والأغنياء على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس، وقد خصص قسم كبير من تلك الأوقاف للإنفاق علي المكتبات[٤].

---

[١]- ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج١٧، ص١٨٥.

[٢].ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص٢٤٣.

[٣].بهروز رفيعى: تعليم وترتيب در إسلام، طهران، ١٣٧٨، ص١١٤.شعبان عبد العزيز:الكتب والمكتبات، ص٣٧٦.

[٤]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص١٥٦.

يتضح مما سبق أن المكتبات كانت أحد أهم مراكز نشر العلم والمعرفة، ومظهر من مظاهر الازدهار الثقافى فى أى مجتمع تتوفر فيه، وأن ظهورها وانتشارها يدل دلالة واضحة علي التطور الفكرى والحضارى الذى أسسه المسلمون علي ركائز متينة ودعائم راسخة، كما تدل علي اهتمام المسلمين بجمع التراث الإنسانى المكتوب والحفاظ عليه، والعمل على تسهيل طرق الاستفادة منه وتقديمه للباحثين الذين يتوقون إلي العلم و المعرفة[١].

الخانقاوات أو الربط [٢]

أطلق الرباط أول الأمر علي القاعدة العسكرية التي يرابط فيه المجاهدون لمراقبة الثغور والدفاع عن الحدود[٣]، ثم صار يطلق على المكان الذى يرابط فيه الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله ومجاهدة النفس[٤]. ويعزى إلى "أبى سعيد الميهنى"[٥] أنه أول من أسس

---

[١]- عبد الحي الكتان: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، المطبعة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٤م، ص١١.

[٢]- (الخانقاوات . الربط . الزوايا):هي جميعًا بيوت الصوفية والزهاد والمجاهدين، وقد ساد مصطلح "خانقاه" في المشرق الإسلامي والشام ومصر، في حين ساد مصطلح زاوية ليعبر عن نفس المعنى فى المغرب، علي أنه يلاحظ في كثير من الحالات أن اسم زاوية أطلق في المشرق علي المصلي الصغير. (سعيد عبد الفتاح عاشور: المؤسسات العربية والإسلامية ودورها الحضارى "الفن العربى الإسلامى"، تونس، ١٩٩٤م، ص٨٦)

[٣]-Derek Hill and Oleg Grabar:Islamic Architecture and its Decoration,London,١٩٦٧, p٣٤.

[٤].المقريزى:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج٤، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٩٣.

[٥].هو"أبو سعيد بن أبي الخير الميهني"(ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) من أكبر الشخصيات الصوفية التى عاشت في النصف الثانى من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجرى، وهو يعتبر الرائد الأول لشعراء الصوفية الإيرانيين، اتخذ "نيسابور" مركزًا لنشاطه حيث ألتف حوله العديد من المريدين، وذاع صيته في إيران. (الهجويرى: كشف المحجوب، ص٦٦، ٦٧)

نظام الخانقاوات فى الإسلام، حيث كان يعيش مع مريديه فى عدد من الخانقاوات، والتى وضع لمعيشتهم بها العديد من القواعد والأسس[١].

ازداد انتشار الخانقاوات بشكل ملحوظ فى أوائل القرن الخامس الهجرى حتي عمت جميع أنحاء العالم الإسلامي، ووُضع لها نظامٌ معينٌ للحياة فيها، وكان يقوم بإدارة كل واحدة منها شيخ من شيوخ الصوفية[٢]. قسمت كل خانقاة إلى خلوات للعبادة وحجرات متعددة للسكن، وقاعة كبيرة تصلح لتجمع الصوفية وللطعام، وبها مطبخ وخادم لإعداد الطعام، وكان ينفق على الخانقاوات من الأوقاف الموقوفة عليها [٣].

صارت الخانقاوات بعد ذلك من المؤسسات التعليمية جنبًا إلي جنب مع المساجد لتعليم التصوف، كما كانت تؤدي خدمات ثقافية ودينية كالوعظ والإقراء والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب[٤]. وتضافرعلى إنشائها فى تلك الفترة الحكام والأفراد، فهذا السلطان "محمود"(٣٨٨:٤٢١هـ/١٠٣٠:٩٩٨م) قام ببناء عدد ضخم من الخانقاوات والربط، من ذلك بنائه سنة(٤١٠هـ/ ١٠٢٠م)رباط عرف باسم"رباط شاهى" أو"ماهى"[٥]. وهناك أيضا رباط "مانك علي ميمون"، و"مانك" هذا من أعيان مدينة غزنة وأثريائها، وقد ترك بعد وفاته أموالًا وأوقافًا كثيرة منها هذا الرباط[٦]. ومن أربطة غزنة الشهيرة أيضًا رباط "كرنان"[٧].

---

[١]- المصدر السابق، ص٦٧.

[٢]- إسعاد قنديل: لمحات من الغزل الصوفى فى الشعر الفارسى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م، ص٨.

[٣]- ذبيح الله صفا: تاريخ سياسي واجتماعي وفرهنكي إيران، ص٢٥٠، ٢٥١.

[٤]- رحيم كاظم، عواطف العربى: الحضارة العربية الإسلامية، ص١٥٩.

[٥]- أوقطاى آصلان: فنون الترك وعمائرهم، ص٢٨.

[٦]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١٣٤، ٢٢٧.

[٧]- المصدر السابق، ص٣٧٨.

والذى ساعد الخانقاوات علي القيام بدورها الثقافى هو أن الواقفين أنشأوا فيها المكتبات وأوقفوا فيها الكتب، فكان الزهاد والصوفية يترددون علي مكتباتها، وكذلك تردد عليها الطلاب الذين يرحلون فى طلب العلم [١].

ومما يدل علي دور الخانقاوات الثقافى، أن كتب الصوفية فى تلك الفترة كانت من أهم الآثار النثرية الفارسية والتى تشكل جزءًا هامًا منها، لما تمتاز به هذه المجموعة من الكتب برونق خاص وصفاء في التأليف وبعد عن التملق والزيف الذى يحتاج إليه كل من يخدم في قصور الحكام والسلاطين ويتقرب إليهم، ونظرًا لاختلاط الصوفية بعامة الشعب والعلاقة القلبية والروحية التي تربط الشيخ بمريده فإن غالبية المؤلفات الصوفية دونت بأسلوب سلس بعيد عن أى تكلف وصناعة لفظية[٢].

المجالس العلمية[٣]

كان من السمات العامة للحياة الثقافية في مدينة "غزنة" كثرة المجالس العلمية والأدبية الخاصة منها والعامة، كانت هذه المجالس بمثابة تجمع للعلماء والأدباء كى يبرز كل منهم فى مجال علمه وأدبه وشعره. ارتبطت هذه المجالس بشكل خاص بقصور السلاطين والأمراء، لأنهم كانوا يعدون أنفسهم حماة للعلم، ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزًا تشع منه الثقافة والمعرفة، ومنتدى للعلماء والأدباء[٤]، ولقد مر بنا تشجيع السلاطين

---

[١] . يحيى محمود ساعاتى: الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض، ١٩٨٨م، ص٢١، ١٠٨.

[٢]- عبد السلام فهمى: موضوعات النثر الفارسى، ص١٢٦.

[٣]- مصطلح المجلس كان يعنى في الأصل الوضع الذى يتخذه المدرس للتدريس بعد أن يؤدى الصلاة أولًا في المسجد، وقد استعمل بعد ذلك من باب التوسع للدلالة على كل الجلسات التى يحدث فيها نشاط تدريسى أو أى مناقشات علمية أخرى.(جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٦، ٦٥)

[٤]- أحمد جاب الله شلبى: التعليم والتربية عند المسلمين، ص٧١. يوسف محمود: الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ص٧٨.

و وزرائهم لمثل تلك المجالس العلمية حيث كان يحظى رجال العلم والشعراء فيها بالهبات والصلات الجزيلة.

كان لهذه المجالس آداب خاصة وتقاليد معينة يجب مراعاتها من قِبَل من يسمح له بحضورها، إذ لم يكن الحضور مسموحًا إلا لطبقة معينة من الناس، ولم يكن الحاضرون أحرارا في اختيار الموعد الذي يحضرون فيه أو ينصرفون عنده، وإنما كانوا يحضرون في موعد محدد وينصرفون عند إشارة خاصة يشير بها السلطان أو الأمير، ولا يذكر الحاضر شيئًا إلا إذا سئل، وأن يكون حسن الإستماع حسن الكلام[١]. كما كان السلاطين يشاركون في موضوعات النقاش التي تدور في تلك المجالس، ويبدون رأيهم في العديد من القضايا المطروحة، وخاصة ممن كانوا على مستوى عالٍ من الثقافة، ومن هؤلاء السلطان"محمود"(٣٨٨:٤٢١هـ /٩٩٨:١٠٣٠م) الذى كان شديد الحماس فى أن ينال العظمة التى يستحقها ملك جعل من بلاطه ملتقي تدور فيه فنون المناقشات فى الآداب والعلوم، والتى وصل إليها عباقرة العلماء فى ذلك العهد[٢].

كما دأب السلطان"مسعود"(٤٢١: ٤٣٢هـ/١٠٣٠: ١٠٤٠م)على عقد المجالس العلمية حتي قبل توليه الحكم، ولم يؤم هذه المجالس العلماء والشعراء من الرجال فقط، وإنما أمتها العالمات من النساء، فكانت زوجة "بايتكين". حاكم ناحية داور. وهومن مشاهيرعلماء عصرالسطان "محمود" تحضر مجلس الأمير "مسعود" بغزنة وتقص الحكايات والأخبار عن سيرة الأمير وأحواله في تلك الأيام[٣].

كذلك عقدت المجالس العلمية في بيوت العلماء، وكانت تلك المجالس بالغة التأثير في التعليم والوعي الثقافي والحركة الفكرية في تلك الفترة، فنجد العلماء يخصصون مكانًا في

---

[١]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٧٤. عبد الله العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٢، ٢٣.

[٢]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٢٥. أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٧٣.

[٣]- البيهقى: تاريخ البيهقى، ص١١٦، ١١٧.

بيوتهم يجتمع فيه أهل العلم لمناقشة المسائل العلمية والقضايا المذهبية، ويبدى كل منهم رأيه فيها ويقترح الحل الذى يراه مناسبًا لكل مسألة أو قضية[١]. ولمَّا كان المنزل مكانًا خاصًا يحس رواده بالوحشة، فكان على صاحب البيت أن يقابل رواده بالبشاشة والترحاب ويسرى عنهم، ويتحتم على الحضور أن يتسموا بالوقار والهدوء والحفاظ على حرمة البيت وجلاله[٢].

تنوعت المجالس العلمية تنوعًا يناسب الحياة الثقافية المتنوعة الأطراف آنذاك، فكان منها المجالس الخاصة التي عقدت في بلاط السلاطين، وقد سبق الحديث عنها، أما المجالس العامة فمنها:

مجالس الوعظ التي كثرت في تلك الفترة، والتي كان لها دورها فى إثراء الحياة العلمية، فالواعظ كان يقوم بشرح وتفسير آيات القرآن الكريم، ويتفقه في شئون الدين وكافة المسائل الدينية، ويقوم بوعظ الناس في شئونهم العامة، ومن هؤلاء "أبو المؤيد عيسي بن عبد الله بن القاسم الواعظ الغزنوى" الكاتب والشاعر والواعظ، الذى توجه إلي بغداد سنة(٤٩٥هـ /١١٠١م) ووعظ في جامعها وحصل له قبول عظيم من الناس، توفى سنة(٤٩٨هـ/١١٠٤م)[٣].

"علي بن الحسن الواعظ الغزنوى" كان واعظًا حسن التقرير وصاحب التصرف والتأثير، كان يحضر مجلس وعظه جمع كثير من الأمراء والوزراء والكبراء[٤]، توجه إلي بغداد سنة(٥١٦هـ /١١٢٢م) فوعظ وأقبل الناس عليه[٥]، توفى سنة (٥٥١هـ /١١٥٦م)[١].

---

[١]- رحيم كاظم، عواطف العربى: الحضارة العربية الإسلامية، ص١٥٧.

[٢]- أحمد جاب الله شلبى: المرجع نفسه، ص٦٨.

[٣]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٨٣. ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٣١.

[٤]- الأصبهانى: رياض العلماء وحياض الفضلاء، ج٤، تحقيق أحمد السيد الحسينى، إيران، مكتبة آية الله العظمى، ١٤٠٣هـ ق، ص٦٥.

[٥]- ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤١١. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص٢٩٦.

ومنهم "أبو المكارم أحمشاذ بن عبد السلام بن محمد الغزنوي" الواعظ والفقيه، أقام مدة في أصفهان، وكان يعقد مجلس وعظة فى الجامع كل يوم أربعاء، فملك قلوب الناس، توفي سنة (٥٥٢هـ /١١٥٧م).[٢] ومنهم أيضًا "السيد أشرف الدين حسن بن ناصر العلوى الغزنوى" كان من الوعاظ المشهورين فى عصره، يحضر مجلسه آلاف من الناس لسماع وعظه، كما كان رقيق الطبع فى قرض الشعر، توفى سنة (٥٦٥هـ /١١٦٩م)[٣].

لم تقتصر مجالس الوعظ على الرجال فقط، ولما كان من الضرورى منع الرجال من الاختلاط بالنساء في هذه المجالس حتي لا يؤدى وجودهم إلي الفتنة والانشغال بهن عما يقال من مسائل دينية، لذا انفردت النساء بمجالس للوعظ خاصة بهن. وقد اتخذت طابعًا معينًا بأن تكون الواعظة سيدة متفقهة زاهدة صالحة متدينة حتي تصير قدوة صالحة لجميع النساء فى الورع والتقوى، لذا فقد خصصت نساء القصور مجالس خاصة للإرشاد والوعظ في قصورهن، هذا بالإضافة إلي مجالس الواعظات اللاتى كن يعقدنها فى أماكن خاصة بهن، فلم يكن يمر يومًا دون عقد هذه المجالس[٤].

من هنا نرى الإسهامات التى قدمتها المجالس العلمية، والتي كانت تعقد فى الجوامع وقصور الحكام والوزراء ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين فى إحياء نهضة علمية شاملة فى ذلك العصر، وهى وإن لم تكن وسائل منظمة للتعليم إلا أنها أسهمت إسهامًا كبيرًا فى التطور الثقافي.

لم يقتصر التعليم فى "غزنة" علي تلك المؤسسات، إنما امتد إلي السجون والتي لم تقتصر علي تعليم العلوم الدينية فقط، وإنما امتد التعليم فيها إلي العلوم العقلية، فقد تعلم الشاعر

---

[١]- ابن الأثير: المصدر نفسه والجزء والصفحة. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٢٣، ٣٢٤.

[٢]- عماد الدين الأصفهانى: خريدة القصر، ج٢، ص١٣٣. القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص٣٥٩.

[٣]- رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص١١٦.

[٤]- نعمة على مرسى: المرأة المسلمة فى آسيا الوسطى، ص١٤٠.

"مسعود سعد سلمان"علم الفلك والنجوم فى سجون الغزنويين، فلم تحول محنته التى كان فيها بينه وبين الرغبة فى الاستزادة من العلم والمعرفة [١].

طرق التدريس فى المؤسسات التعليمية

كان المعلمون المسلمون يفرقون بين الأساليب المستخدمة فى تعليم الصغار من ناحية، وبين تلك المستخدمة فى تعليم الكبار، فعلى مستوى الكُتَّاب اعتمد التعليم اعتمادًا يكاد يكون كاملًا علي الذاكرة على أساس أنها عادة ما تكون في أوج نشاطها فى هذا العمر الغض، وينبغى أن تستغل استغلالًا تامًا وهى فى ذروتها، ولذا كان فى استطاعة الكثير من الصغار تلاوة أجزاء عديدة من القرآن الكريم إن لم يكن كله عن ظهر قلب قبل أن يتركوا الكُتَّاب [٢].

أما فيما يتعلق بالمواد الأخري غير القرآن الكريم، فكان من المتفق عليه بوجه عام أن ينتقل المعلم من البسيط إلي المعقد، ومن السهل إلى الصعب [٣]، ويضع نصب عينيه قدرة الطفل على استيعاب ما يلقن.

أدرك المسلمون أن العلم وحده لا يكفي ليكون سلاح المعلم، ويجب أن يضاف إلي العلم فن التربية ليمكن المدرس من دراسة نفسية الطفل والنزول إلى مستواه والاتصال العاطفى به، ليكون ذلك جسرًا يوصل خلاله العلم إلى عقل التلميذ [٤]، لذلك أظهر

---

[١] - طلعت محمد إسماعيل: مسعود سعد سلمان، ص٢١٠.

[٢] - هشام نشابى: المدنية الإسلامية، ص٨٤، ٨٥.

[٣] - السبكى: معيد النعم، ص١٠٥.

[٤] - ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص٩٢٥. أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص١٩٠.(التربية في الإسلام عبارة عن تنشئة أفراد الجيل وإعدادهم وتنمية قدراتهم واستعداداتهم وتشكيلهم حضاريًا وفقًا لمفهوم الحضارة الإسلامية علي نحو يستطيعون معه بناء تلك الحضارة، فالتربية هي إحدي الوسائل الهامة لاستمرار الثقافة في المجتمع بما تستخدمه من أساليب وطرق يمارسها الأفراد ويعايشونها ويضيفون إليها

المعلمون المسلمون اهتمامهم الخاص بأساليب التأديب التى يسمح للمعلم باستخدامها مع تلاميذه، وبوجه عام كان العقاب البدنى مقبولًا كأسلوب تقويم وتربية له فائدته، إلا أنه كان يتعين تجنب استخدام العنف مع الصغار.

هذا بالنسبة لطرق التدريس فى الكُتَّاب، أما بالنسبة لمرحلة التعليم العالي فكان أهم مظهر مميز للتعليم الإسلامي في المسجد هو"الحلقة" والتي يمكن وصفها بأنها صفوف دراسية دائمة، وهي أقدم ما عرفه الناس من تلقى العلم، وقد نبعت الحلقات من المساجد واستمرت حتى بعد إنشاء المدارس، والحلقة لها نظام حيث يجلس الشيخ علي حشية صغيرة ويكون ظهره إلي الحائط أو إلى أحد الأعمدة، ويكون الحضور حلقة أمامه ويكون الشيخ فى أبرز نقطة في محيطها[١]، والجلوس في الحلقة بحسب المستوى العلمى، فالمعيدون والممتازون من الزوار يجلسون عن يمين الشيخ ويساره، ويجلس الرفقاء فى درس واحد فى جهة واحدة من الحلقة، ليكون نظر الشيخ إليهم جميعًا، ويترك في الحلقة فراغ ليجلس فيه أولئك الذين يحبون أن ينضموا حديثًا للحلقة، للاستماع والاستفادة [٢].

أما بالنسبة للطالب فكلما ازدادت معرفة الطالب بموضوع الدرس كلما قرب موضعه من الشيخ، فترتيب الجلوس كان يتغير تبعًا لتقدم الطالب أو تخلفه، فكان على الجالسين

ويطورونها أو يجددون فيها ويبتكرون، باعتبارها عملية تنشئة اجتماعية من ناحية، ومن ناحية أخري وسيلة لتقدم المجتمعات، هذا هو موقف التربية بالنسبة للثقافة، كما أن التربية وسيلة يمكن استخدامها لإحداث التغيير في المجتمع، وذلك بما تتخذه من قوي التغيير وفي مقدمتها المدرسة من خلال مناهجها وبرامجها الدراسية وأنشطتها التربوية، وكذلك معلميها والقائمين عليها، فهي التي تستطيع تعميق المفاهيم الجديدة وترسيخها أو تستبدل قيمًا بقيم أخرى أو تضيف إليها ألوانًا من المعلومات إلي عقول الناشئين ومداركهم، وهؤلاء بدورهم يسهمون في إحداث التغيير الثقافي في مجتمعاتهم وعن طريقهم يمكن إعادة بناء المجتمعات من جديد).أحمد عرفات القاضي: الفكر التربوى عند المسلمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص١٨، ٢٧.

[١]- أحمد شلبى: المرجع نفسه، ص ٢٧٨، ٣٦٨.

[٢]- ابن خلدون: المصدر نفسه والجزء، ص١١١٩.

بالقرب من الشيخ أن يخلوا أماكنهم للطلاب الأكثر تفوقًا، ومما يبرز أهمية جلوس الطالب بالقرب من المدرس تلك العبارة التي كثيرًا ما نصادفها في التراجم والسير "قربه إليه"[١].

كان الشيخ أو المعلم يفتتح الدرس بالبسملة وبالصلاة والتسليم على الرسول صلى الله عليه وسلم وربما تلى بعض آيات الذكر الحكيم، أو بعض الأحاديث التي تحث الطلاب علي طلب العلم، وعلي التواضع في طلبه وعلى حسن السيرة والأخلاق، مبينًا لهم إن ذلك يعين على حل المشكلات وإدراك المعميات، ثم يبدأ الدرس بعد هذا التقديم [٢].

كان للطالب الحرية فى اختيار الحلقة التى يريد الجلوس فيها والتخصصات التى يميل إليها، فهو الذى يختار الشيوخ الذين يريد الدراسة على أيديهم، وذلك حسب الهدف الذى يحدده كل طالب لحياته العلمية، أما مواعيد الدراسة والحلقات فكانت تحدد من قبل الشيوخ والمعلمين فى الفترة الممتدة من بعد صلاة الفجر وحتي منتصف الليل.

أما طرق التدريس في تلك الحلقات فأهمها **السماع والإملاء**، والسماع هو أن يسمع الطالب أو السامع المرويات التي يليقيها الشيخ من حافظته أو يقرؤها من كتابه، وهى أرفع أنواع الرواية عند الأكثرين، ويقدم لها بعبارة مثل "سمعت عن" أو "حدثني" أو "أملي علي فلان"[٣]. وقد اتبع مؤلفو المسلمين من غير المحدثين هذه الطريقة فى تحصيل العلوم من كتب السابقين وروايتها ومن ثم الاستشهاد بها فى مؤلفاتهم[٤].

قصد "غزنة" العديد من الطلبة والعلماء من البلدان الإسلامية لسماع الحديث من علمائها، وكان هؤلاء يمكثون زمنًا طويلًا فى "غزنة" للدراسة فلا يغادرونها حتى يحصلوا على الإجازة العلمية لرواية الحديث والأدب والتاريخ، ومن هؤلاء الشيخ "أبو مسلم عمر

---

[١]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٠٥.

[٢]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٦٩.

[٣]- أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج٢، ص٤٧٧. محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، لبنان، دار الفكر الحديث، ١٩٦٧م، ص٤٤٢.

[٤]- ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمى فى التراث الإسلامى، ص١٩٢.

بن علي بن أحمد بن الليث البخارى" سمع "بغزنة" الشيخ "مظفر بن الحسين" والشيخ "علي بن محمد الدينوري اللبان" و"سعيد العيار"، وكان يعتمد علي الحفظ في سماعه[١].ومنهم "عيسي بن شعيب بن إبراهيم" سمع من "الخليل بن أبي يعلي" وغيره، وكان حريصًا علي السماع توفى سنة(٥١٢هـ /١١١٨م)[٢]، ومنهم "أبو منصور المظفر بن الحسين الغزنوي" سمع الشيخ "حنبل بن أحمد بن حنبل"[٣].

كان من المسلم به أن تدوين المادة العلمية له أهمية قصوى فى عملية التعليم، فلا يجب الاعتماد علي الذاكرة وحدها، هذا على الرغم من التشديد على أهمية إيداع المعلومات فى الذاكرة، فلا يمكن الاستغناء عن الدفاتر لأن المرء يجب أن ينعش ذاكرته لكى يظل ما حفظه سليمًا لا ينقص منه شئ، ففى البداية كان الشيوخ يلقون دروسهم من الذاكرة دون الرجوع إلى نص مكتوب، بيد أنهم سرعان ما بدأوا في استخدام المذكرات، وبالمثل اعتمد الطلبة أولًا على الذاكرة، ولكنهم ما لبثوا أن أخذوا فى كتابة المذكرات، ومن ثم صار الإملاء من طرق التدريس المتبعة والمعتادة فى مدينة "غزنة".

هذا وقد اعتبرت طريقة السماع والإملاء من أصح الطرق فى أخذ العلم، لأن فى حالة القراءة ربما يغفل القارئ أو لا يسمع السامع ما يقرأ عليه، أما إذا أملى القارئ وكتب السامع فإن ذلك لا يتطرق إليه الخطأ، لأن القارئ يعرف ما يملى والسامع يفهم ما يملى عليه ويكتبه، ولذلك نجد بعض المؤلفين يعقدون مجالس لإملاء كتبهم المصنفة، بل أن أكثر هؤلاء المؤلفين كانت تؤخذ عنهم كتبهم إملاءً[٤].كان لبعض العلماء يوم معلوم من

---

[١]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤٠٧، ٤٠٨.

[٢]- المصدر السابق، ج١٩، ص٣٨٩، ٣٩٠.

[٣]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٣٤٣.

[٤]- ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمى فى التراث الإسلامى، ص٢٠٢.

كل أسبوع يملون فيه كتبهم[١]، وعامةً كان من آداب المملي أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعون عن أشغالهم ويستعدوا للحضور.

ومن المظاهر الملفتة للنظر أن بعض العلماء كانوا يملون كتبهم من حفظهم[٢]، وذلك ليس بالأمر العجيب إذا علمنا أن هذه الكتب لم تكن تملي في يوم واحد، هذا بالإضافة إلي ما عرف عن المسلمين من قوة الحفظ، واهتمام علماؤهم الزائد بأهمية الحفظ، لذلك نجد إجماع المربون علي أن الذاكرة هي أهم خصائص الطالب الحافظ، نظرًا لأن أسمي مطمع للدراسين المسلمين الأوائل كان حفظ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف عن ظهر قلب.

لذلك نجد أن تقوية الذاكرة كانت أحد المعالم الثابتة للتعليم الإسلامى، وما أكثر الأخبار التي تروى عمن كانوا يملكون قدرة خارقة علي التذكر، والذين كانوا يوصفون في كتب التراجم بأنهم "بحور في العلوم" و"أوعية المعرفة"[٣] أو كثيرى المحفوظ[٤].

وقد صورت لنا كتب التراث نماذج لقدرات هؤلاء العلماء على الحفظ لا نجد لها مثيل في العصر الحاضر، ومن الأمثلة علي ذلك من أدباء "غزنة" الواردين عليها الأديب والشاعر الكبير"بديع الزمان الهمذاني"الذي كان في مقدوره أن يعيد قصيدة يزيد عدد أبياتها علي الخمسين بيتًا من أولها إلي آخرها بعد أن يسمعها مرة واحدة، كما كان في وسعه أن يقرأ أربع أو خمس صفحات من كتاب لم يسبق له أن أطلع عليه ثم يرددها حرفيًا من الذاكرة[٥]. ومن الفقهاء من كان يحفظ أسس أحد المذاهب الفقهية، ومن هؤلاء الفقيه

---

[١]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٥.

[٢]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٧٣.

[٣]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١١٥.

[٤]-القرشى:الجواهر المضيئة، ج١، ص١٦٠.أطهر المباركبورى: رجال السند والهند حتى القرن السابع الهجرى، القاهرة، دار الأنصار، ١٣٩٨هـ، ص٣٥٠.

[٥]- العتبى: تاريخ اليمينى، ج١، ص١٥٧. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٣، ١٦٤.

الشافعي "أبو المحاسن الروياني" (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)[١]. والذى قال "إذا أتت النيران علي مؤلفات الشافعي لأمليتها من حفظي".[٢] وفي المقابل كان مما يلفت النظر أن يوجد فقيه لا يتمتع بذاكرة قوية، ومنهم "علي بن الحسين بن عبد الله الغزنوي" (ت٥٥١هـ/ ١١٥٦م) والذي كان محفوظه قليل، فكان كثيرًا ما يردد ما يحفظه[٣].

وإذا كان المدرس أو العالم يلقي من محفوظاته أو من مذكرات كتبها ليقرأ منها فإن الدرس يسمي إملاءً، وفي هذه الحالة يكون إلقاء الدرس بطيئًا فقرة فقرة أو حديثًا حديثًا، ويكتب الطلاب خلفه، فإذا ما انتهي من إلقاء الحديث أو الفقرة عرج بالشرح والايضاح والتفسير، ويدون الطلاب هذه الشروح علي هامش الأوراق التي كتبت عليها الأصول، فإذا ما اكتملت أمالي الشيخ في ذلك الموضوع فإنه يقرأ الأمالي أو تقرأ عليه لتصحيحها مع مراعاة الدقة في النقل وفي التصحيح[٤]. ومن تلك الأمالى تكون لنا تراث من الكتب أو المخطوطات التي أتخذت عناوين لها حسب موضوعاتها، واحتفظ بعضها بلفظ الأمالى عنوانًا له، وهذا ما سيتضح عند الحديث عن علماء "غزنة" وأهم مصنفاتهم.

وتعد **القراءة أو العرض** من طرق التدريس الهامة، والقراءة علي الشيخ يسميها أكثر المحدثين عرضًا، وتعد تلك الطريقة من أكثر طرق تحصيل العلم من كتب السابقين شيوعًا بين العلماء في تلك الفترة، وكان كتاب التراجم وغيرهم ممن يؤرخون للحياة العلمية لهؤلاء العلماء يحرصون علي ذكر الكتب التى قرأها أحدهم على مؤلفيها أو تلامذتهم،

---

[١]. عبد الواحد إسماعيل بن أحمد أبو المحاسن فخر الإسلام الروياني: فقيه شافعي من أهل "رويان" (بنواحي طبرستان) رحل إلى غزنة وبخارى و نيسابور. الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٥، ص٦٣.

[٢]- ابن خلكان: المصدر نفسه والجزء، ص١٩٩.

[٣]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص٦٠.

[٤]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٦٩.

بالإضافة إلى ذكر أسماء العلماء الذين قُرئ عليهم الكتاب، ومن هؤلاء الحافظ "أبو الحسن عبد الغافر الفارسى" الذى قرئ عليه "لطائف الإشارات" بمدينة "غزنة"[١].

والرواية بها جائزة عند العلماء، سواء قرأ الشيخ من حفظه أم من كتابه أم قرأ غيره وهو يسمع بشرط أن يكون الشيخ حافظًا لما يقرأ أو يقابل القراءة على أصله الصحيح أو يكون الأصل بيد القارئ أو أحد المستمعين الثقات، ويجوز لمن قرأ الكتاب علي مؤلفه أو من حضر هذه القراءة أن يحدث بها قائلًا: "قرأت" أو "قرئ علي فلان وأنا أسمع" أو "أخبرنا" أو "حدثنا قراءة عليه"[٢]. فيذكر لنا "نجم الدين النسفى" في كتابه "القند فى ذكر علماء سمرقند"، قال أخبرنا الشيخ العالم العدل "أبو القاسم الصرفي"، قال: أخبرنا "سعيد بن أبي سعيد العيار" قراءة عليه "بغزنة" في شهور سنة ست وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا "أبو طاهر محمد بن الفضل" ثم ذكر بعض الأحاديث النبوية[٣].

لم تكن قراءة الكتب على مؤلفيها أو تلامذتهم مقصورة على كتب الحديث فقط، بل تعدتها إلي قراءة كتب العلوم الأخرى كالأدب واللغة والطب، وبمضي الوقت صارت كتب كبار المعلمين الأوائل مراجع مدرسية لمن خلفهم من معلمين ودارسين، وغالبًا ما اقتصر دور المعلم على قراءة شروح النصوص القديمة "المتون" للمعلمين العظام[٤].

ويظهر لنا أن الطريقة الأولى وهي سماع الكتب من مؤلفيها والطريقة الثانية وهى قراءتها عليهم، طريقتان متشابهتان لجواز رواية هذه الكتب أو الإستشهاد بمعلوماتها، فإذا قرأ المؤلف كتابه علي تلامذته سمعوه منه، وإذا قرأ أحدهم سمع الشيخ والحاضرون[٥].

---

[١]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٥.

[٢] ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي، ص١٩٢.

[٣]- نجم الدين النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق يوسف الهادى، طهران، مؤسسة الطباعة، ١٩٩٩م، ص٥٦٣.

[٤]- هشام نشابى: المدنية الإسلامية، ص٨٦.

[٥]- ناصر محمد عبد الرحمن: المرجع نفسه، ص١٩٣.

كانت"**المناقشة والسؤال**"إحدى الطرق التربوية المستخدمة فى ذلك الوقت، فقد كان لكل طالب الحق في أن يسأل أي سؤال لاستيضاح ما صعب عليه فهمه، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "العلم خزانة مفتاحها السؤال"[١] لذلك كان مجال المناقشة مفتوحًا أمام الطلاب، فالواحد منهم لا يكتفى بمجرد السماع بل يهتم بالبحث والسؤال والمناقشة ليتمكن من فهم جميع المسائل العلمية.

كانت للمناقشة بين الأستاذ وطلابه آداب خاصة تحفظ للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعلم[٢]، فعلى الطالب أن يسأل تفقهًا لا تعنتًا ولا رياءً، ثم عليه أن يختار الوقت المناسب لإلقاء السؤال، فلا يقاطع مدرسه وهو يتكلم ولا زميله وهو يسأل[٣]، كما يجب على الأستاذ أن يشجع طلابه علي أن يسألوا وعليه أيضًا أن يحترم آرائهم، وكان المدرس أحيانًا يقوم مقام السائل فيلقي علي الطلاب بضعة أسئلة ليختبر فهمهم، ويجيب بنفسه علي ما تعسر عليهم أن يجيبوا عنه، وهو بهذا يعطي فرصة للطلاب قليلى الفهم أن ينتفعوا بما تستدعيه هذه الأسئلة وأجوبتها من إعادة للموضوع وزيادة بسط لمسائله[٤]، وعلي الرغم من أن الطلبة كانوا يحترمون آراء معلميهم إلا أنهم كثيرًا ما كانوا يشتركون في مناقشات حامية معهم، وكثيرًا ما أعربوا عن آراء تخالف آراء معلميهم، وعادةً ما كان يعطي للطالب الذي يثبت براعته في الحوار مكانًا متميزًا في الحلقة[٥]. هكذا نما فن الحوار والنقاش في الحياة العلمية ونظمته قواعد واضحة ومحددة.

كان للمناقشة والسؤال الأهمية الكبري في حياة كلا من الطلاب والمدرسين، لأن الأمثلة التي تطرح علي المدرسين كان لها دور كبير في تثبيت أقدام المدرسين في تلك المكانة، وخاصة حديثي العهد بهذه المنزلة، فإذا استطاع المدرس أن يثبت أمام النقاش

---

[١]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٧١.

[٢]- حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م، ص٢٣٠، ٢٣١.

[٣]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٣٧٢.

[٤]- حسين أمين: تاريخ العراق الاقتصادى، ص٢٣١، ٣٧٢.

[٥]- هشام نشابى: المدنية الإسلامية، ص٨٦.

ووفق فى الرد على الأسئلة التي كانت تصل أحيانًا إلى درجة التحدي وإقناع من حوله، فإنه حينئذٍ يستطيع مواصلة عمله في التدريس، أما إذا عجر عن إقناع الطلاب والإجابة عن أسئلتهم فعليه حينئذٍ أن يعود إلي حيث كان طالبًا يتلقى العلم فى مجالس الشيوخ[١].

ومن طرق التدريس أيضًا **المذاكرة**، وهى عبارة عن مجالس لا مكانًا معينًا لها ولا زمانًا محددًا لعقدها، وهدفها تبادل المعلومات والآراء بين طلبة الحديث خاصةً، لكنها تطورت عندما صار العلماء يتباحثون في الحديث سويًا في مجالس مفتوحة يحضرها الطلبة، ثم تحولت هذه المجالس إلي مؤسسات تعليمية ذات قواعد محددة، وتأخذ هذه المجالس أشكالًا عدة تعتمد علي موضوع الحديث المراد بحثه، ولا سيما تناول متون الأحاديث وأسانيدها ورجالها جرحًا وتعديلًا، وربما تناولت المذاكرة تطبيقات أحاديث معينة في أبواب الفقه، كما قد تتناول دراسة أحاديث رواها صحابي معين، وتتبعها في مختلف كتب الحديث وتقدير درجتها من حيث الصحة أوالضعف، كانت تلك المجالس مفتوحة للناس عامة وللطلبة خاصة، ولهؤلاء أن يكتبوا ما يدور فيها، وأن يوجهوا الأسئلة كما يشاءون أو يقترحوا الموضوعات التى يرغبون فى معالجتها[٢].

أما عدد الحضور في مجالس المذاكرة فلم يكن محددًا، وكان مكانها وزمانها يحددان عند مقدم شيخ مهم لزيارة "غزنة"، فيبادر العلماء والطلبة إلي زيارته، وعندها تتحول تلك الزيارة إلي مجلس مذاكرة، وهذا ما كان يحدث مع كبار العلماء، ومنهم شيخ الإسلام"إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني"، كان إمامًا مفسرًا محدثًا وفقيهًا[٣]عقد مجلس الحديث وسمعه عدد لا يحصي من أهل"غزنة"والهند[٤]، توفى شيخ الإسلام سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)[٥].أما بالنسبة للزوار المغمورين فكان عليهم أن يقصدوا كبار العلماء

---

[١]- أحمد شلبي: المرجع نفسه، ص٢٤٦.

[٢]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٨.

[٣]- ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص٤٤.

[٤]- السمعانى: الأنساب، ج٣، ص٥٠٦.

[٥]- السمعانى: المصدر نفسه والجزء، ص٥٠٦. أظهر المباركبورى: رجال السند والهند، ص٣٥٩.

ليتاح لهم المشاركة في مثل تلك المذاكرة، ولكي يتمكنوا من أخذ الحديث عن رواته العالين[١].

هكذا أصبح بوسع الطلبة أن يشهدوا كفاءات الأساتذة وينتفعوا بعلمهم وخبرتهم، بل صاروا يتخذونهم نموذجًا لمذاكراتهم، كما أن المذاكرة لم تقتصر علي الحديث فقط بل شملت العديد من المواضيع وصارت ميدانًا يصول فيه أهل العلم والأدب، يحاول كل منهم إظهار علمه ومقدرته.

ومن طرق التدريس الأخرى طريقة **النظر أو المناظرة**، حيث كان نظام التعليم فى مدارس الفقه يركز اهتمامه علي تدريب وإعداد فقيه يستطيع أن يدافع عن رأيه، فيبدأ الطالب تخصصه في حقل الدراسات الفقهية مع إعداده للتمكن في العلوم الأدبية، وبعد اجتياز سنوات دراسته فى المرحلة الأولى المرهقة، ينتقل إلى الدراسات المتقدمة حتى يصل إلى الامتحان النهائى المتمثل في قدرته علي الدفاع عن آرائه وذلك فى مجلس المناظرة الذى يعقد لامتحانه، لذلك عليه من البداية حتى النهاية أن يمتلك ذاكرة قوية، ويواصل تزويدها بالمواد العلمية المرتبة والمصنفة بعناية بحيث تجعل في مقدوره استرجاعها عند الضرورة، فيعتمد علي ما استودعه في ذاكرته متي أراد، لأن الدفاع عن الرأى إنما هو عمل شفهى تمامًا، إذ لا مجال للرجوع إلى المصادر، كما لا يتاح الوقت لإعمال الفكر والتأمل مثلما يتاح للمرء عند الكتابة، حيث لا تكون هناك فرصة لتدوين مسودة ثم إعادة كتابتها قبل الصياغة الأخيرة، كما يفترض فهم المادة فهمًا دقيقًا واضحًا حتى يتمكن من استرجاعها على الفور استعدادًا للمواجهة الكبرى مع الخصم فى الوقت الذى لا مجال فيه للخطأ ولا هوادة ولا رحمة، ففي هذا المقام تحرز الشهرة أو تضيع ويصبح مستقبل المرء بين كفتي الميزان رهنًا بتفوقه أو هزيمته[٢].

---

[١]- منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٥٩.

[٢]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٢٩.

ومن مجالس النظر التى عقدت فى مدينة "غزنة" مجلس النظر الذى عقده "أبو المحاسن سعد بن محمد الجولكى"(ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)الذى وُجِّه رسولًا إلى"غزنة"سنة(٤١١هـ/ ١٠٢٠م) وعقد له بها مجلس النظر[١].وأيضًا مجلس"أبو بكر محمد بن علي بن حامد الشاشي"(ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) الذى رحل إلى "غزنة"، وعقد له بها مجالس النظر، وكان من أنظر أهل زمانه[٢].

وأخيرًا فإن الجانب التعليمى فى هذه المجالس ذو فائدة عظمي لا يمكن إنكارها، فهي الاختبار النهائى الذى يتعين على الطالب أن يجتازه لكى يحصل علي إجازته ويصبح بعدها مؤهلًا لوظيفة التدريس في البلد الذي أثبت فيه جدارته في المناظرة، فالمناظرات التي فاز فيها هي الدليل علي قدرته علي الدفاع عن رأيه وبالتالي التصدر لتدريس الفقه والإفتاء.

المناهج الدراسية للمؤسسات التعليمية في مدينة "غزنة"

لم يكن أمام الأطفال فى سن الخامسة والعاشرة من خيار سوى الانتظام فى الكتاب، وقد اقتصر مقرر الدراسة علي قراءة القرآن الكريم وحفظه، وكانوا يتدرجون في الكتابة بأن ينقلوا بعض آيات من القرآن الكريم، كما كانوا يتعلمون قليل من الحساب، وقد حظى فن تحسين الخطوط بعناية خاصة عندهم، وفي بعض الأحيان كان يَدرِس الشعر والحَكم، وعندما يتم الصبي حفظ القرآن كان يعتبر أنه قد أنجز المرحلة الأولية، فينظم له حفل خاص للاحتفال بهذه المناسبة[٣].

أما بالنسبة للمساجد والمدارس فقد شمل المنهج الدراسى لتلك المعاهد فئتين من المواد:

١- العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية

---

[١]- السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣٨٧. السمعانى: الأنساب، ج٢، ص١٢٤. السهمى: تاريخ جرجان، الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٠م، ص١٨٩.

[٢]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٢٦. السبكى: المصدر نفسه والجزء، ص١٩٠.

[٣]- هشام نشابى: المدينة الإسلامية، ص٨٣.

٢- العلوم العقلية

كان لكل معلم الحرية فى تحديد محتوى كل مادة من المواد التى تشتمل عليها هاتين الفئتين، وحينما انقسم العالم الإسلامى إلي أقسام مختلفة يدين كل منها بمذهب من مذاهب الفقه، عكست المناهج الدراسية للمعاهد التعليمية اتجاهات المذهب السائد، ومن ثم أعطت المناهج التعليمية في "غزنة" الأولوية للمذهب الحنفي مذهب الدولة الغزنوية[١]. ومن هنا خضع المنهج الدراسي في مؤسسات "غزنة" للمقتضيات الدينية الأساسية فضلًا عن الاعتبارات المحلية.

وبالرغم من ذلك فلم يكن هناك منهج محدد يجب أن يلتزم به الجميع إذ كان لكل مؤسسة تعليمية مواد دراسية خاصة بها حسب رغبة مؤسسها، والذى كان يتبع فى الأعم الأغلب رغبة المدرس الذى أنشئت المؤسسة من أجله، ومن المعروف عن علماء المسلمين تشجيعهم لتنوع العلوم التى يجب دراستها، فلابد للعالم أن يلم بطرف من كل علم لأن لكل حقل من حقول المعرفة من يرغب في تعلمه. وعلى وجه العموم كانت الآداب تدرس قبل التخصص فى أى حقل معين، وكان التخصص يتم عادة بعد دراسة القرآن والحديث والنحو والأدب. وعندما ظهرت مدارس تعليم الفقه أصبح التخصص يعنى التفوق في حقل الفقه يدعّمه قدر كبير من الكفاءة فى الحقول الإسلامية الأخرى، لذلك نجد أن التركيز في سنوات المرحلة الأولى من الدراسة ينصب على تعلم المبادئ الفقهية للمذهب الذي ينتمي إليه الطالب أى علي "فقه المذهب"، أما مرحلة الدراسة المتقدمة فكان التركيز فيها علي فقه الخلاف، وكانت هذه المرحلة الثانية هى فترة صحبة الطالب أو ملازمته التى يصبح خلالها صاحبًا أى ملازمًا لأستاذ الفقه وتابعًا له فيقال عنه "صاحب" شيخه [٢].

---

[١]- محمد الرفاعى: الدولة الغزنوية، ص١٧٢، ١٧٣. ناجى معروف: مدارس قبل النظامية، ص١٢٠.

[٢]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٩٨، ١٣١.

أما تدريس الطب فكان مكانه البيمارستانات، وفى بعض الأحيان درس فى قليل من المدارس، وبالنسبة للعلوم الأخرى كالفلسفة وغيره من العلوم العقلية فكانت تدرس خارج المساجد والمدارس، على اعتبار أن الأولوية للعلوم الدينية والأدبية[١].

ومن دراسة الحياة العلمية لمدينة "غزنة" وُجد بين الحين والآخر إشارة إلي المواد التي درسها علماء المدينة، فكان تسلسل تعلم المواد عند "أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري" والذي تلقى التعاليم الأولية للدين الإسلامى على أفراد أسرته، ثم بدأ دراسته في "غزنة" في سن مبكرة، فاشتغل بما كان يشتغل به أترابه في ذلك الوقت من دراسة العلوم المتعارفة في ذلك الوقت كقراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة والأدب، ثم كرس جهدًا كبيرًا لدراسة العلوم الدينية والشرعية كالتفسير والحديث والفقه.

ومن خلال كتابه "كشف المحجوب" يمكننا التعرف بوضوح علي العلوم التي حصلها "الهجويرى" أثناء دراسته والمعارف التي اكتسبها أثناء اطلاعاته وقراءاته، فقد ورد في كتابه العديد من الآيات القرآنية حوالى مائتين وست وثلاثين آية قرآنية، وإن دل ذلك فإنما يدل علي تعمقه في فهمه وتفسيره، وإلي جانب الآيات استخدم الأحاديث، وقام بشرح الكثير منها شرحًا وافيًا، ونقل معظمها إلي اللغة الفارسية، وفي هذا ما يدل علي إلمامه الكبير بعلم الحديث، وقد صرح بنفسه أنه تتلمذ علي بعض الشيوخ ممن كانوا أساتذه في علوم التفسير والحديث. كذلك قام بدراسة الفقه علي مذهب "أبي حنيفة"، فقد صرح في ترجمته له بأنه كان يميل إليه ويعتنق مذهبه. وإلي جانب العلوم الدينية فقد درس اللغتين الفارسية والعربية وأجادهما إجادة مكنته من أن يمسك بزمام اللغتين فينقل من إحداهما إلى الأخرى في سهولة ويسر. وفي كتابه أيضًا الكثير من الأشعار والإشارات الأدبية

[١]- Murray Thmas:The Islamic Revival and Indonesian Eduction Asian Survey,vol.٢٨,n.٩, ١٩٨٨,p٨٩٩.

الفارسية والعربية والتي استعملها في مواضعها الصحيحية، مما ينبئ عن فهم عميق وذوق أدبي سليم مدعم بدراسة واعية للأدب والاطلاع علي الآثار الأدبية[١].

أما بالنسبة لمدة الدراسة، فكانت تستمر لسنوات، وفيما عدا السنوات الأربع لدراسة مقرر الفقة الأساسى فى المرحلة الأولى، لم تكن هناك فترات زمنية محددة لأى حقل من حقول الدراسة، وكانت المدة اللازمة للحصول على إجازة التدريس تختلف اختلافًا كبيرًا من طالب إلي آخر، كما لم تكن هناك فيما يبدو سنٌ معينة يبدأ فيها الطالب دراسته فيما بعد المرحلة الأولية في الكُتَّاب[٢].

الألقاب والشهادات الأكاديمية

لم تختلف الألقاب والشهادات الأكاديمية في"غزنة"عنها في غيرها من البلدان الإسلامية في ذلك العصر، وكان العلماء من الناحية الأكاديمية علي مراتب، وأعلي هذه المراتب الشيخ الذي يمثل مرتبة الأستاذية في أيامنا[٣]، ويُطلق علي من يتولي أعلي منصب تعليمي، وبصفة عامة علي المدرسين في جميع الحقول العلمية علي أن يسند إليه لفظ آخر يعين المجال المقصود من المجالات الآتية:علوم القرآن، الحديث، النحو، ويدخل فيه الأدب والتصوف، وبالنسبة لشيخ الحديث فكان يطلق عليه أيضًا "شيخ الرواية".

"الرئيس" لقب يطلق على العالم الذي يتم اختياره بصفته المقدم بين زملائه، وهو لقب ذو شأن كبير، واختيارالرئيس كان يتم بمعرفة المشايخ، ويشترك فيه علماء المدينة من جميع المذاهب، وليس فقط من أتباع مذهب المرشح لهذا اللقب. أما لقب"مدرس" إذا استعمل بدون إضافة فإنه يعني مدرس الفقه[٤]. ولقب "الإمام" كان يطلق علي مؤسسي المذاهب

---

[١]- الهجويرى: كشف المحجوب، ص٥١، ٥٥، ٥٧، ٢٠٨.

[٢]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١١٠، ١١١.

[٣]- عبد الله منسي العمرى: تاريخ العلم عند العرب، ص٢٧.

[٤]- جورج المقدسى: المرجع نفسه، ص١٧٥، ٢٢١، ٢٣٤.

الفقهية[١]، بينما احتفظ بألقاب "الحافظ" و"المحدث" و"المسند" للإشارة لعلماء الحديث[٢]، في حين خصص لقب "الفقيه" لعالم الشريعة[٣]. وامتاز علماء الإسلام بأن الواحد منهم كان يحمل أكثر من لقب كالشيخ الإمام الفقيه المحدث [٤]، وذلك راجع إلى تعدد التخصصات العلمية التى برعوا فيها.

تعد **الإجازة**[٥] الشهادة الوحيدة المعترف بها، والتى عرفها التاريخ الإسلامى، إلا أنها لم تكن نتيجة اختبار أو امتحان، بل كانت شهادة شخصية يدلى بها معلم معين للتدليل علي التحصيل الأكاديمي لطالب ما. والإجازة هي أن يجيز الشيخ رواية أحد كتبه أو كتبه كلها لأحد تلامذته أو لمجموعة منهم. وأركان الإجازة: المجيز وهو الشيخ أو المؤلف أو من يروى كتبه، والمجاز له، وصيغة أو لفظ الإجازة [٦].

---

[١]- هشام نشابه: المدينة الإسلامية، ص٨٧.

[٢]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص٤١١، ٤١٢. السبكى: طبقات الشافعية الكبري، ج٧، ص١٧٣.

[٣]- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٩٩. الذهبى: العبر، ج٣، ص١٢٧.

[٤]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٣٤٣.

[٥]- الإجازة لغة: مصدر أجاز، إعطاء الإذن، وأجاز له أى أذن له، والإجازة فى الاصطلاح: إذن وتسويغ، وهي اصطلاح اتخذه العلماء فى مصطلح الحديث، وذلك أن يأذن من ثقة من الثقات لغيره بأن يروي عنه حديثًا أو كتابًا سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أو كان يرويه عن شيوخه بالإسناد إلي مؤلفه. وكان مصطلح إجازة في أول الأمر للإذن برواية الحديث، وعندما يستعمل هذا الإصطلاح بدون إضافة فإنه يعني الحديث علي وجه الخصوص، أما فيما يتعلق بالدراسات الفقهية فقد بدأ استعماله بإضافة مضاف إليه لتمييزه عن الإجازة في الحديث، فكان الترخيص بإصدار الفتاوي الشرعية أو بتدريس الفقه يصاغ علي النحو التالى: الإجازة بالفتوي والتدريس، الإجازة بالتدريس والفتوى.(عبد الله فياض:الإجازات العلمية عند المسلمين، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م، ص٢١. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٦٧)

[٦]- ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي، ص١٩٥.

يمنح الشيخ الإجازة لطلابه بطريقتين:الأولى الإجازة بالمشافهة، وثانيهما الإجازة التحريرية، والإجازة الشفهية أقدم عهدًا من الإجازة التحريرية[١]، والإجازة التحريرية هى عبارة عن رخص خطية منحها شيوخ لمن أباحوا لهم الرواية عنهم بعد أن تأكد لديهم صلاح المُجاز له لتحمل الحديث وروايته عنهم. واعتاد الشيوخ كتابة إجازاتهم على الكتاب الذى درسه عليهم المُجاز، أو أباحوا له روايته دون أن يدرسه عليهم، وتكون الإجازات التي تكتب علي ظهور الكتب مقتضبة عادة، ولا تحتوى أحيانًا طرق الرواية، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقي الشيخ المجيز معلوماته عنهم، ولعل ذلك يعود إلى قلة الفراغ، أما الإجازات المستقلة عن الكتاب فتكون عادة مفصلة فضلًا عن كونها مشتملة على طرق الرواية التى تلقَّى عنها للشيخ المجيز معلوماته التي أجاز روايتها لتلميذه[٢].

ويشترط لصحة الإجازة أن يكون المجيز عالمًا بما يجيزه به، ثقة فى دينه وروايته معروفًا بالعلم، وأن يكون المجاز من أهل العلم حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله، وأن يكون الفرع مشابه للأصل حتى يكاد يكون هو[٣].

إن تشدد العلماء وحرصهم على اتباع سلوك معين فى الاستفادة من إنتاجهم الفكري، هو التأكد من دقة وصحة المعلومات الواردة في هذا الإنتاج، والوثوق من عدم تطرق الخطأ إليها فضلًا عن نسبة هذه المعلومات إلي أصحابها، وهذا أمر طبيعي في عصر المخطوطات إذ كيف يمكن اعتبار أى نسخة من نسخ أى كتاب صحيحة ويعتمد عليها، إلا تلك النسخة التى يقرها المؤلف نفسه، أو من صحت عنده هذه النسخة من أحد

---

[١]- ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص٢٨٦.

[٢]- عبد الله فياض: المرجع نفسه، ص٢٣: ٢٧.

[٣]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٥١.

تلامذته، فمن غير المتوقع أن تتشابه جميع نسخ الكتاب الواحد في عصر المخطوطات كما هو الحال في عصر المطبوعات[١].

ارتبطت الإجازة بما يطلق عليه "طرق تحمل العلم"، والتى قسمتها كتب مصطلح الحديث إلى ضروب وهى:.

١. المناولة، أرفع ضروب الإجازة، وهى أن يدفع الراوى إلي الطالب أصلًا من أصول كتبه أو فرعًا قد كتبه بيده ويقول:هذا الكتاب سماعي عن فلان وأنا أعلم بما فيه فحدث به عني، فأنه يجوز للطالب روايته عنه، وتحل تلك الإجازة محل السماع[٢] عند جماعة من أئمة الحديث [٣]

٢. هو أن يكتب الراوي بخطه جزءً من سماعه أو حديثًا، ويكتب معه إلى الطالب: إنى قد أجزت لك روايته بعد أن صححته بأصلى

٣. هو أن يكتب الراوي إلي الطالب: قد أجزت لك جميع ما صح ويصح عندك من حديثى[٤]

٤. المراسلة: وهى شكل آخر من أشكال الإجازة يتم بالأسلوب التالى: يرسل الراوي أحاديث معينة أو أجزاء من كتب مخطوطة إلي شخص آخر ويسمح له بروايته[٥]

---

[١]- ناصر محمد عبد الرحمن: المرجع نفسه، ص٢٠١.

[٢]-السماع: هو اللفظ الاصطلاحي الذي يطلق علي الشهادات التي تمنح بعد أن يتم الاتصال بين المدرس والطالب فيسمع هذا من ذاك، ويمنح سماعًا يبيح المدرس فيه للطالب أن يروي عنه ما رواه له. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٦٠.

[٣]- عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، ص٣٣.أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٥١.

[٤]- الخطيب البغدادى: الكفاية فى علم الدراية، المكتبة العلمية، (د.ت)، ٣٤٥.أحمد شلبى: المرجع نفسه والصفحة.

[٥]- ملكة أبيض: التربية والثقافة العربية، ص٢٨٧.

٥. الوصية: وهى أن يوصي المعلم بكتبه إلي أحد تلاميذه أو أقاربه أو معارفه فتؤول إليه بعد وفاته

٦. الوجادة: وفيها يعثر الشخص علي كتاب أو يشتريه من أحد الوراقين ويروى ما وجد فيه[١]

وبناءً علي ما سبق فإنه لا يجوز الرواية أو الاستشهاد بمعلومات أي نسخة من نسخ الكتاب إلا النسخة التي صحت معلوماتها عن طريق مؤلفها، أو ما رواها أو صححها وضبطها عليها سماعًا أو قراءةً، أو إجازة منه بصحتها، أو أن يكتب له المؤلف نسخة من كتابة أو يأمر غيره بكتابتها، أو بعلمه إنها نسخة صحيحة أو يوصيه برواية نسخة معينة وإن لم يكن فبالوجادة علي نحو ما سبق.

هناك بعض الإجازات التي منحت خلال فترة الدراسة ومنها الإجازة التي أعطاها الإمام "أبو الحسن علي بن محمد الدينورى"(ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)محدث غزنة "لحنبل بن علي"[٢]. والإجازة التي أعطاها الفقيه الواعظ "أحمشاذ بن عبد السلام الغزنوي"(ت٥٥٢هـ/١١٥٧م) لصاحب كتاب الخريدة "العماد أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب"، فقد أذن له في الرواية عنه[٣].

كان بوسع الدارس الذي يحصل علي الإجازة من مدرس أو شيخ ما أن يحصل علي إجازات أخري من غيره من الأساتذة، وأن يفعل ذلك بالنسبة لنفس الكتاب، أو لتدريس الفقه، وفي هذه الحالة نجد الشخص الذى يحصل على هذه الإجازة يحصل على إجازات من مدرسين آخرين، وبذلك يجمع عددًا منها، وكلما زاد عددها كلما كان ذلك أفضل. وممن حصل علي العديد من الإجازات "أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن عبد الصمد

---

[١] – ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي، ص١٩٩.

[٢] – الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٦٩.

[٣] – القرشى: الجواهر المضيئة، ج١، ص٣٥٩.

الغزنوي"(ت٥٧٢هـ / ١١٧٦م) وقد حصل علي تلك الإجازات المتعددة من خلال رحلاته العلمية إلي العديد من البلاد الإسلامية "كقزوين" و"نيسابور"[١].

لم تكن الإجازات قاصرة على علوم الدين فقط بل شملت التاريخ والأدب واللغة والطب، ولخطورة مهنة الطب إذ قد تزهق أرواح الناس بسبب جهل من يمتهن تلك المهنة، لذلك نجد أنه اشترط علي من يرغب في الاشتغال بهذه المهنة أن يجتاز امتحانًا وينال شهادة مكتوبة تحدد له الأمراض التي يمكن أن يتصدي لعلاجها [٢].

هيئة التدريس في المؤسسات التعليمية بمدينة "غزنة"

يأتي الشيخ أو المدرس علي رأس المنظومة التعليمية، فهم الأساتذة المتبحرون فى العلم[٣]، كان اللفظ الذى يطلق على المدرس فى تلك الفترة هو "الشيخ"، واللفظ الذى يطلق علي وظيفة التدريس هو"المشيخة". ويضاف إلي اللفظ اسم يعين مجال الدراسة المقصود، ففي مجال الحديث علي سبيل المثال كان المحدث عندما يوصف بأنه مدرس يقال له "شيخ حديث"، وتسمي وظيفته "مشيخة الحديث"[٤]، أما بالنسبة للفقه فكان يستعمل له لفظ مدرس أو شيخ بدون إضافة.

كانت مكانة المدرس في المجتمع رفيعة المنزلة، ومما يدل علي علو شأن المدرس ظهور تقليد "الدرس الإفتتاحي" الذى يلقيه المدرس إبان تعيينه، ويحضره كبار المسئولين في الدولة.

كان في مؤسسة الفقة. سواء كانت مسجدًا أو مدرسة. مدرس واحد عادة إلا إذا كانت المؤسسة تمثل أكثر من مذهب، فيعين فيها عندئذ مدرس لكل مذهب، كما كان المدرس

---

[١]- القزوينى:التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين، ج٣، تحقيق عزيز الله العطاردى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص٤٢١.

[٢]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٥٢.

[٣].ابن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، ج١، ص٤٥.

[٤]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٣٤٣. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٢١٣.

يتولي أكثر من منصب تدريسي في أكثر من مدرسة، فيدرس فى واحدة ويستخدم من ينوب عنه في التدريس في الأخريات التى عقدت مشيخة تدريسها باسمه، وكان اللفظ الاصطلاحي لمن يقوم بالتدريس نيابة عن المدرس هو"نائب المدرس"، وتسمي وظيفته "نيابة التدريس"والفعل المستخدم في هذه الحالة هو "استناب" بمعني استخدم نائبًا له[١]. كما كان يستخدم لفظ خليفة مرادفًا للفظ نائب أي ناب عنه[٢]. ويشترط في نائب المدرس أن تكون مؤهلاته لشغل الوظيفة معادلة لمؤهلات المدرس الذي يحل مكانه أو أفضل منه[٣].

وممن تولى نيابة التدريس فى "غزنة" "مسعود بن عبد العزيز الرازى"(ت٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)[٤]. و"أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الفقيه (ت٥٦٠هـ / ١١٦٤م)أصله من "غزنة"، وهو من كبار أصحاب الإمام "برهان الدين أبى الحسن علي بن الحسن البلخي" الذي تفقه عليه وسمع منه الحديث، واستنابه "برهان الدين" في التدريس في مدرسة "بصرى"[٥].

أما أهم الأعمال والواجبات التى يختص بها المدرس فهي حسن إلقاء الدرس، وايصال المعلومات للطلبة والتدرج معهم من السهل إلي الصعب[٦]، وعليه أن يشفق علي المتعلمين ويجريهم مجري بنيه، وعليه أن يهتم بأخلاق الطلاب اهتمامه بعقولهم، وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة[٧]، وعليه ألا يجعل في مجلسه مكان مميز لشخص معين بل كل من سبق لموضع فهو أولى به. هذا مع

---

[١]- جورج المقدسى: المرجع نفسه، ص١٧٨، ٢١٢، ٢١٣.

[٢]- السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣٨٧.

[٣]- جورج المقدسى: المرجع نفسه، ص٢١٢، ٢١٣.

[٤]- القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص٤٧٠.

[٥]- المصدر السابق، ج١، ص٦٦.

[٦]- السبكى: معيد النعم، ص١٠٥، ١٠٦.

[٧]- الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ص٦٩: ٧١.

استثناء ما تدعو إليه الضرورة العلمية من جلوس العلماء والمعيدين في أماكن خاصة، ويجب عليه أيضًا ألا يميز بين أولاد الأغنياء والفقراء[١]، فالتعليم حق للجميع، فلم يكن الفقر قط سببا للحرمان من التعليم[٢].

وممن قام بالتدريس في غزنة وليس منها العالم "أبو الفرج أحمد بن محمد بن الهيصم"، خرج من خراسان إلي غزنة فدرس بها فترة من الزمن، ثم عاد إلي خراسان[٣]. وقاضي القضاة "أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي"(ت٤٤٧هـ /١٠٥٥م)إمام المسلمين وشيخ الحنفية في عصره، استدعاه السلطان "محمود " للتدريس والإفتاء في غزنة [٤].

كما درس"البيرونى"على يد الأمير"منصور بن على بن عراق" كتاب الأصول فى الهندسة لإقليدس وكتاب المجسطى فى الفلك وكتاب المقالات الأربعة لبطليموس، ودرس عليه الكتب التالية وجعل لها مختصرات وهى كتابه إلى أبى نصر فى السموات، وكتابه فى تصحيح كتاب إبراهيم بن سنان الحرانى فى تصحيح اختلاف الكواكب العلوية، ورسالته فى البرهان على "عمل حبش فى مطالع السماوات فى زيجه"، ورسالته فى "تصحيح ما وقع لأبى جعفر الخازن فى السهو فى زيج الصفائح" وغيره من الرسائل الأخرى. كذلك درس "البيرونى" على يد أبى محمود الخجندى شرح الزيج الصابى لأبى عبد الله البتانى[٥].

ويأتى بعد المدرس المعيد، وهو من الوظائف الهامة في المدارس في ذلك الوقت، فالتكرار هو الطريقة المفضلة لحفظ النصوص، ونجد كثيرًا من المفكرين والعلماء عندما يتذكرون أيام دراستهم يذكرون عدد المرات التي أعادوا فيها كل درس من دروسهم،

---

[١]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٤٤.

[٢]- أمين مدنى: الثقافة الإسلامية وحواضرها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص١١٤.

[٣]- الذهبى: تاريخ الإسلام، ج٣٠، ص٤٩٧. العبر، ج٣، ص١٢٧.

[٤]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٣.

[٥]- محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى، ص١٩.

ونستنتج من ذلك أن التكرار كان أساسيًا في نظام التعليم إلي الحد الذى جعل المدرس يستعين بمعيد، والذى معناه الحرفى هو المكرر[١].

تحددت مكانة المعيد وعمله فهو دون الشيخ أو المدرس وأعظم درجة من عامة الطلبة، فهو طالب متقدم وزميل و"صاحب"[٢] مؤهل لمساعدة زملائه الأدني منه في دروسهم، وعليه أن يعيد الدرس بعد إلقاء الشيخ له، فهو معين للشيخ علي نشر العلم[٣]، حيث كان يجلس مع الطلاب لسماع الدرس وبانتهائه يبدأ عمله في تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة[٤].

ارتبطت وظيفة المعيد غالبًا بالمدارس، والسبب في ذلك أن المدرسة جمعت طلابًا تفاوتت مقدرتهم العلمية، فظهرت الحاجة إلي وظيفة المعيد ليساعد المتخلفين حتي يتمكنوا من مساعدة الأخرين. أما في المساجد فكان الطالب إذا أحس تأخره العلمي عن طلاب الحلقة رغب عنها إلي سواها من الحلقات التي تناسب مستواه العلمي[٥].

ومن المعروف فى ذلك الوقت أن المستوى العلمى كان مختلفًا للمدارس، لذلك كان من الممكن أن يختار معيد في مدرسة ليكون مدرسًا فى مدرسة أخرى لأن المدرسة الأولى أرقى من الثانية في مستواها العلمي، فلا تقل وظيفة المعيد فيها عن وظيفة المدرس في

---

[١]-ابن رشيق المالكى: لباب المحصول فى علم الأصول، ج١، ص٤٥. ذبيح الله صفا: تاريخ سياسي واجتماعي وفرهنكي إيران، ص٤٨. تاريخ تعليم وتربيت إيران إز قرن هفتم تا قرن دهم، ص١٥٨.

[٢]- الصاحب: هو الطالب الذي أتم دراسة المقرر الأساسي له سواء في المدرسة أو المسجد، وبدأ دراسته العليا بملازمة مدرس معين بصفة دائمة، ومن هنا جاءت الأفعال الدالة علي هذه الملازمة الدائمة وهي صحب، صاحب أي لازم، وكلها تدل علي فكرة اتباع أستاذ أو ملازمته بشكل دائم دون سواه، مكرس نشاطه للدراسة تحت إشرافه. (القرشى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص٤٣٠. جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص١٤٧)

[٣]- ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص ١٦٠.

[٤]- السبكى: معيد النعم، ص١٠٨.

[٥]- أحمد شلبى: تاريخ التربية الإسلامية، ص٢٣٩.

الأخري، بل ربما شغل شخص واحد الوظيفتين معًا في وقت واحد. وفي أحيانًا كثيرة كان المدرس يقبل أن يكون معيدًا في مدرسة أخرى، إذا كانت الإعادة مع أستاذ ذى علم واسع وخبرة كبيرة يرجي من العمل تحت إشرافه مزيد من المعرفة والاستفادة [١].

وممن تولى وظيفة المعيد من أبناء "غزنة" "أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي" الذي كان معيدًا لدرس الإمام "الكاشاني" بمدينة "حلب"، وتوفي بها سنة(٥٩٣هـ / ١١٩٧م)[٢].

تلي وظيفة المعيد وظيفة المفيد، ويشار لها بإفادة، والمفيد يلجأ إليه الطلاب المبتدئون لكي يساعدهم في دروسهم. ويبدو أن وظيفة المفيد كانت مكملة لوظيفة المعيد، على هذا فإن المفيد من المرجح كونه طالب دراسات عليا يقوم بإجراء مزيد من الأبحاث أكثر مما يقوم به الطلاب العاديون، وبذلك فهو مرشح لتولي وظيفة المعيد، فهو يستخلص من أبحاثه معلومات مفيدة ينقلها على الطلاب الآخرين.

وعلى عكس وظيفتي النائب والمعيد اللتين تستلزمان ضمنًا وجود وظيفة المدرس، فإن المفيد قد يكون أحد أعضاء هيئة التدريس في أحد معاهد العلم، أو قد يؤدي هذا العمل بعيدًا عن الأنظار حيث يقصده العلماء الآخرون لحل بعض المسائل والمشكلات الصعبة التي تواجههم[٣]. كان ذلك شأن الشيخ الإمام المحدث المفيد الرحالة "أبو مسلم الليثي" الذي سمع الحديث "بغزنة"، وكان يلجأ إليه العلماء والمشاهير للاستفادة من علمه[٤].

يستخدم اصطلاح "مفيد" في حقول الفقه والحديث وعلوم القرآن، وكانت الإفادة وظيفة دائمة في معاهد العلم التي ورد نص بشأنها في كتاب الوقف، ومن الأمثلة علي ذلك

---

[١]- المرجع السابق، ص٢٤١.

[٢]- طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، تعليق أحمد نيلة، ط٢، الموصل، مطبعة الزهراء الحديثة، ١٩٦١م، ص١٠٥. بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص٣٢٩.

[٣]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٢١٩.

[٤]- الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٢٨، ص٤٠٧.

أن "أحمد الغزنوي"(ت ٥٩٣هـ / ١١٩٧م) عمل مفيدًا في مادة الفقه للفقيه الحنفي "الكاساني" (ت٥٨٧هـ / ١١٩١م)[١]. ومنهم أيضًا "أبو عبيد الله محمد بن آدم الغزنوي" (ت٥٤٥هـ /١١٥٠م) الذى رحل إلي "قزوين"، وأقام بالمدرسة العنبرية ليستفاد من علمه[٢].

والمتصدر من أعضاء هيئة التدريس فى ذلك الوقت، وهو شخص يقوم بإفادة الآخرين بعلمه ومساعدته لهم في اكتساب المعرفة[٣]، وهو يطمح في ذات الوقت إلي تولي منصب التدريس رغم أنه قد لا يتاح له توليه مطلقًا، وقد يقضي بقية حياته متصدرًا، وربما يحتفظ بهذه الوظيفة بعد أن يصبح مدرسًا، وفي هذه الحالة فإنه يمارس ما يمكن أن نسميه بالإرشاد الطلابي بطريقة فردية بما يلائم حالة كل طالب وعلي مستوي عال.

وممن قام بوظيفة التصدير في"غزنة" المقرئ المتصدر"محمد بن آدم الغزنوي"، قرأ علي عمر بن زكريا السرخسي، وروي عنه القراءة محمد بن عبد الرحمن بن أبي المعالي[٤]. والمقرئ "منصور بن محمد بن العباس أبو نصر الهروي" نزيل "غزنة"، كان شيخًا متصدرًا، قرأ علي "أبي الحسن علي بن محمد الخيازي"، وقرأ عليه الأستاذ "أبو بكر محمد بن أحمد بن الهيثم الروذباري"نزيل"غزنة"[٥]. ومنهم أيضًا المقرئ المتصدر"عثمان بن علي الغزنوي الثعالبي"، قرأ علي "عبد الكافي"، وقرأ عليه " أبو حفص عمر بن زكريا بن السرخسي"[٦]. وقد ترقي الأخير حتي صار متصدرًا، وقرأ عليه "محمد بن آدم الغزنوي"[٧].

---

[١]- جورج المقدسى: نشأة الكليات، ص٢١٩.

[٢]- القزويني: التدوين، ج١، ص١٣٠، ١٣١.

[٣]- ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣، ص١٨١، ١٨٢.

[٤]- ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٢، القاهرة، مكتبة المتنبى، (د.ت)، ص٤٣.

[٥]- المصدر السابق، ج٢، ص٣١٣.

[٦]- المصدر السابق، ج١، ص٥٠٨.

[٧]- المصدر السابق والجزء، ص٥٩٢.

وخلاصة القول: أن المعيد والمفيد والمتصدر هم الذين يفيدون الطلاب، ومن المفترض أن ينتقلوا في نهاية الأمر إلى منصب أعلي وهو التدريس في أحد المجالات العلمية.

وممن يقوم بالمساعدة في التدريس المستملي، وهو اسم فاعل، معناه الحرفي الشخص الذي يطلب من شخص آخر أن يدون الإملاء، وينبغي عدم الخلط بين هذه الوظيفة ووظيفة المعيد، فالمستملي مساعد لشيخ الحديث أما المعيد فكان مساعدا لمدرس الفقه، كان الأول يردد ما يمليه الشيخ كلمة بكلمة، وسطرا بسطر في نفس الوقت الذي يتحدث فيه الشيخ، أما الأخير فكان يعلم طلاب الفقه بعد انتهاء درس الفقه الذي يلقيه المدرس معيدا أو شارحا ما قاله المدرس. ومن الأمثلة عليه من علماء "غزنة" "أبو القاسم علي بن أحمد بن الحسن الصيرفي الفارسي" (ت٥١٥هـ /١١٢١م) من أصحاب الحديث البارعين، الذي زار "غزنة" فأسمع بها الحديث[١].

فالحديث عادةً ما كان يدرس بالإملاء، وكانت أعداد الحضور تصل إلي المئات في كثير من الأحيان، وفي مثل هذه الحالة لابد من وجود عدد من المستملين لتكرار الإملاء، لايصالها إلي الصفوف البعيدة عن صوت الشيوخ. وقد يعمل المستملي مفيدا في الحديث، فكان لا يكتفي بمجرد نقل أو تبليغ ما يمليه الشيخ من حديث بل يضيف إلي ذلك ملاحظاته وتعليقاته، وبذلك يقوم بدور المفيد في الحديث[٢]. ومن أهم من قام بهذا الأمر من علماء "غزنة" "أبوالفضل محمود بن أحمد ابن عبد الرحمن الغزنوى"(ت٥٦٣هـ /١١٦٧م) الذي دون كتاب "تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء" "لأبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي" وكان يحدث منه[٣].

---

[١]- النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند، ص٥٦٣.

[٢]- جورج المقدسى: المرجع نفسه، ص٢٣٧.

[٣]- ابن الجزرى: غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٣، ص٤٣٠.

يتضح مما سبق أن المؤسسات التعليمية من الكتاتيب والمساجد والمدارس والمكتبات والمجالس العلمية كان لها دور عظيم في خلق نهضة ثقافية في مدينة " غزنة"، وذلك بعد أن كانت هذه النهضة محصورة في حاضرة الخلافة "بغداد"، والتي اعُتبرت آنذاك مركزًا للعلوم والآداب. ويرجع ذلك إلي عاملين: أولهما التمسك بالمفاهيم الأساسية للدين الإسلامي. وثانيهما اتباعها لأساليب منهجية وتربوية لم تعد موجودة في الوقت الحالي ذلك كان سر تقدم المسلمين فيما مضي من أزمان.

الخلاصة أننا نجد فى القرآن الكريم حشدًا كبيرًا من الآيات تحث الإنسان على التأمل والتدبر، وأن يتبصر بحقيقة وجوده وارتباطاته بالمخلوقات الأخرى وكيفية الاستفادة منها وتسخيرها فى الكون بما يعود بالنفع على الإنسانية، علاوة على مدحه للعلماء وتفضيلهم على سائر البشر.

اهتمام الدولة الغزنوية بالعلم، حيث أنشأت المدارس والمكتبات وأرسلت الرسل إلى سائر البلدان فى سبيل الحصول على الكتب، وجندت العلماء لترجمتها، وغير ذلك الكثير فى سبيل النهوض بالحركة العلمية. كما كان العلماء فى الدولة الإسلامية يجدون فى حلهم وترحالهم كل عناية واهتمام من قبل الحكام فى البلاد الإسلامية، فبالإضافة إلى المكانة الرفيعة التى كانوا يحظون بها عند السلاطين والأمراء، كانت الأموال تغدق عليهم وتيسر لهم جميع الوسائل فى سبيل مواصلة أبحاثهم ودراستهم.

كذلك هيأت لطلاب العلم جميع التسهيلات فى سبيل مواصلة دراساتهم، بالإضافة إلى الأموال التى كانت تنفق عليهم، حتى يستطيعوا مواصلة دراساتهم دون أى صعوبة تواجههم، علاوة على الأوقاف الكبيرة التى كانت توقف على طلبة العلم.

كما انتشرت المكتبات التى كانت تحتوى على آلاف الكتب والمجلدات فى شتى أنواع العلوم والمعارف فى سائر البلدان الإسلامية، حيث اهتم السلاطين والأمراء غاية الاهتمام بالكتب، فارسلوا الرسل وأنفقوا الأموال الطائلة فى سبيل الحصول عليها، وعينوا عددًا ضخمًا من الوراقين والنساخ وغيرهم فى سبيل المحافظة على الكتب وترتيبها وتصنيفها.